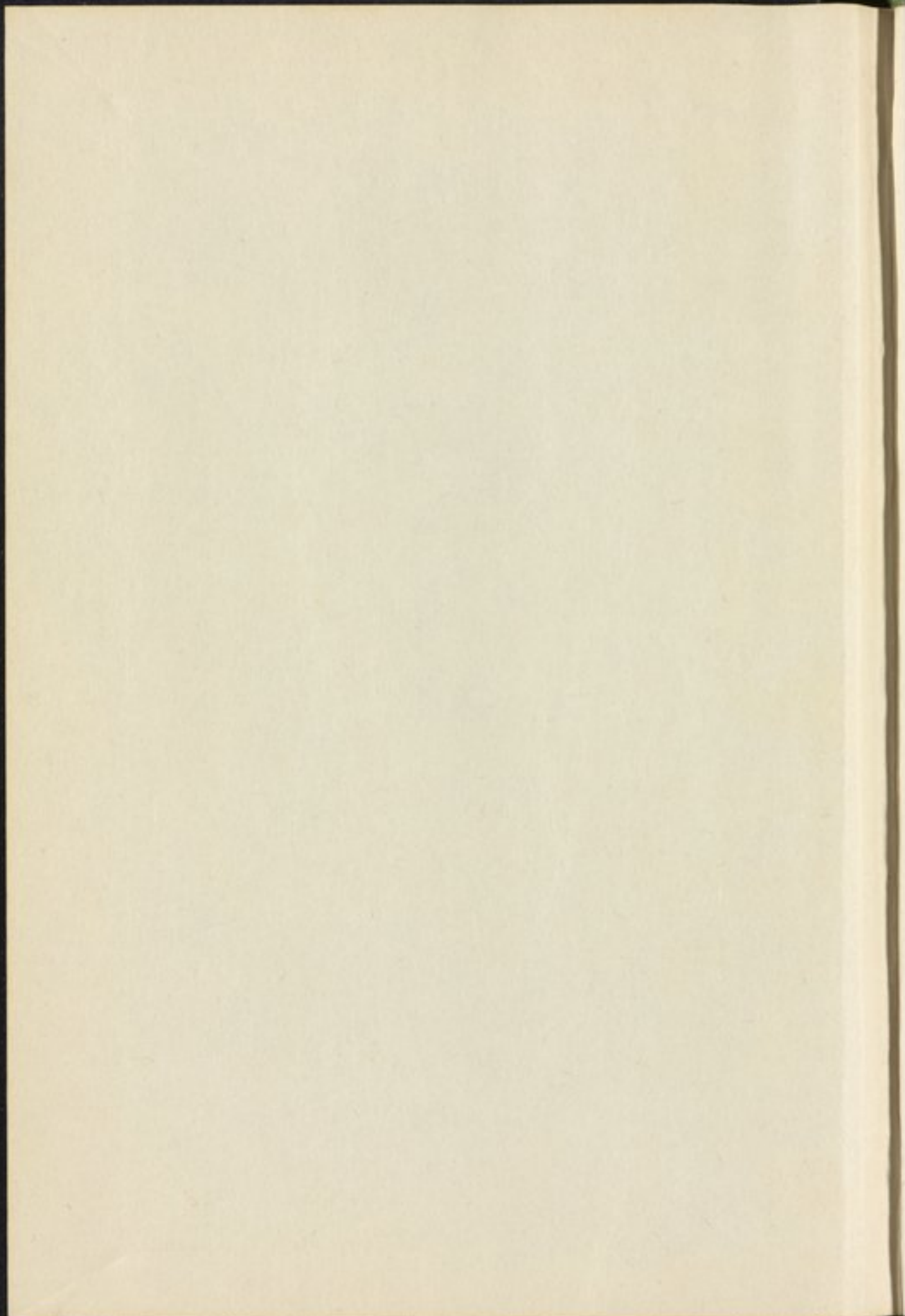
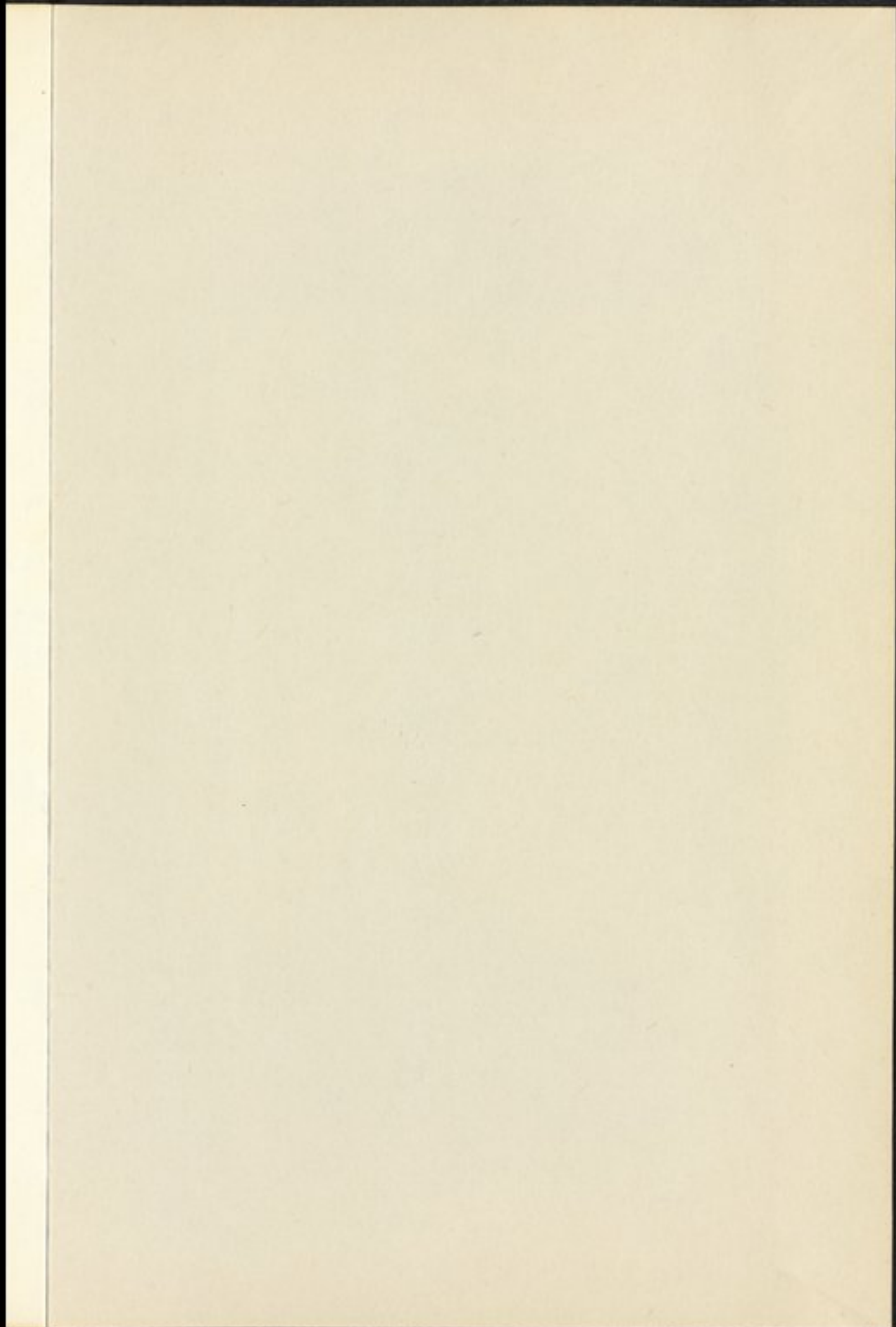


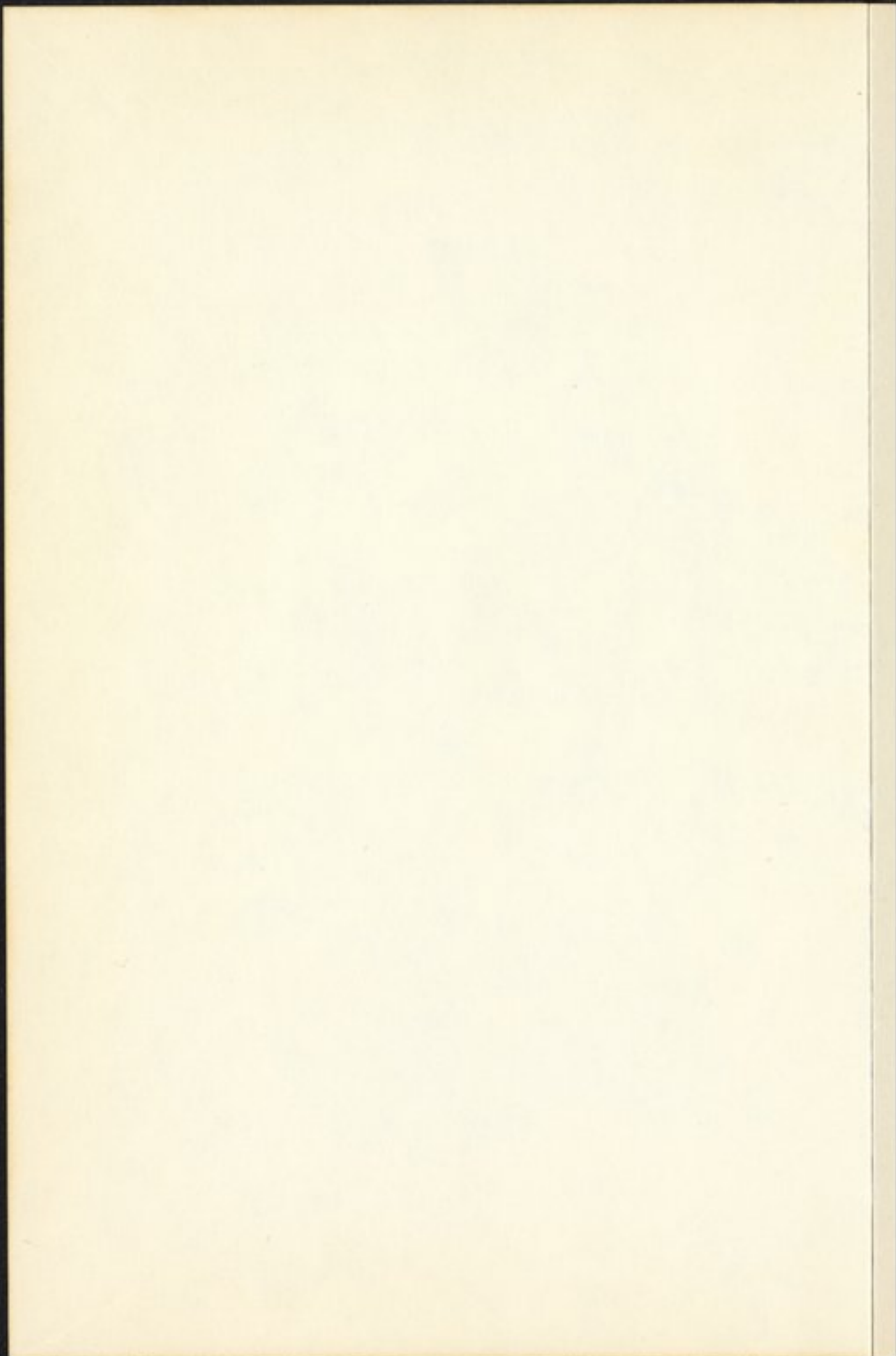
THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

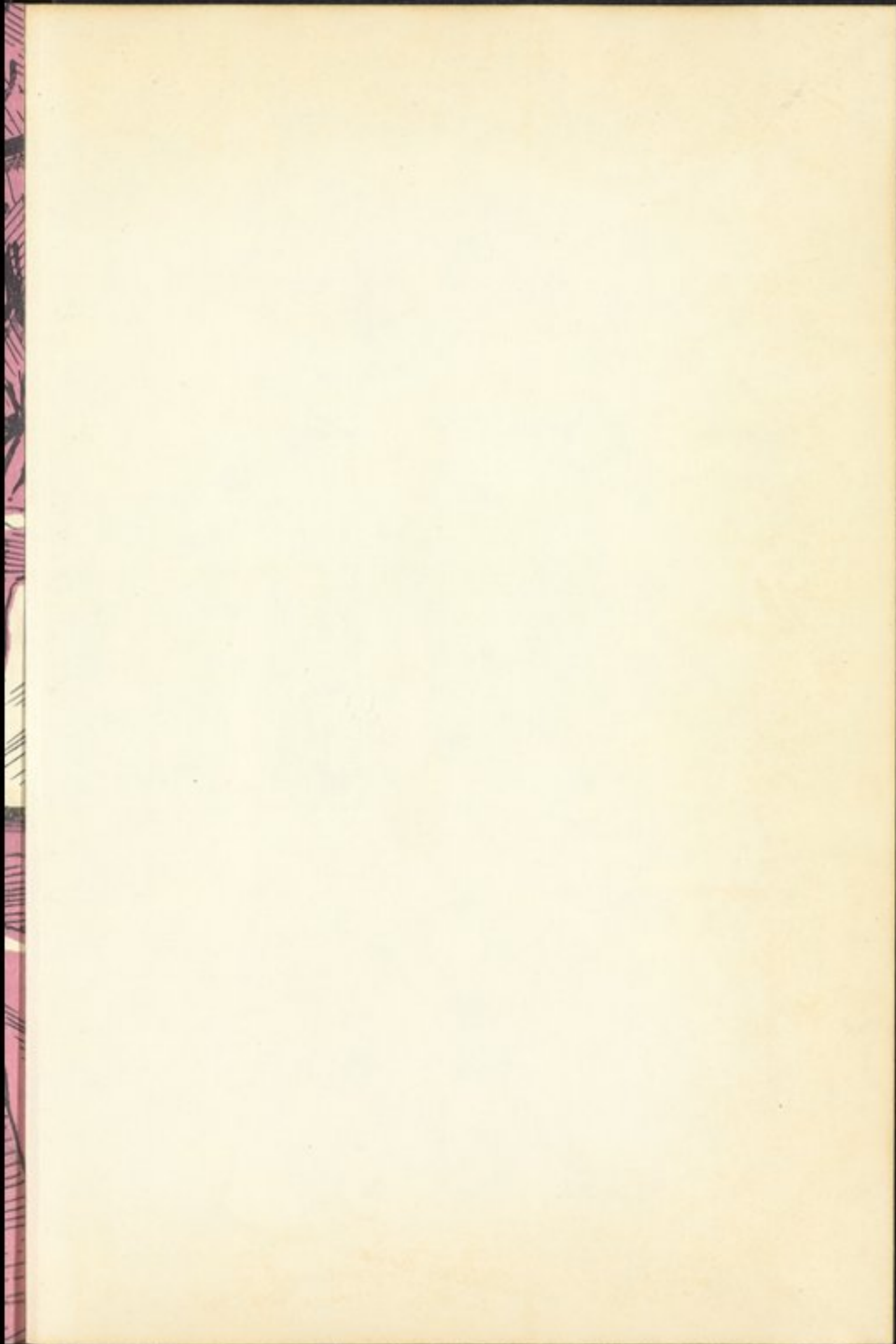


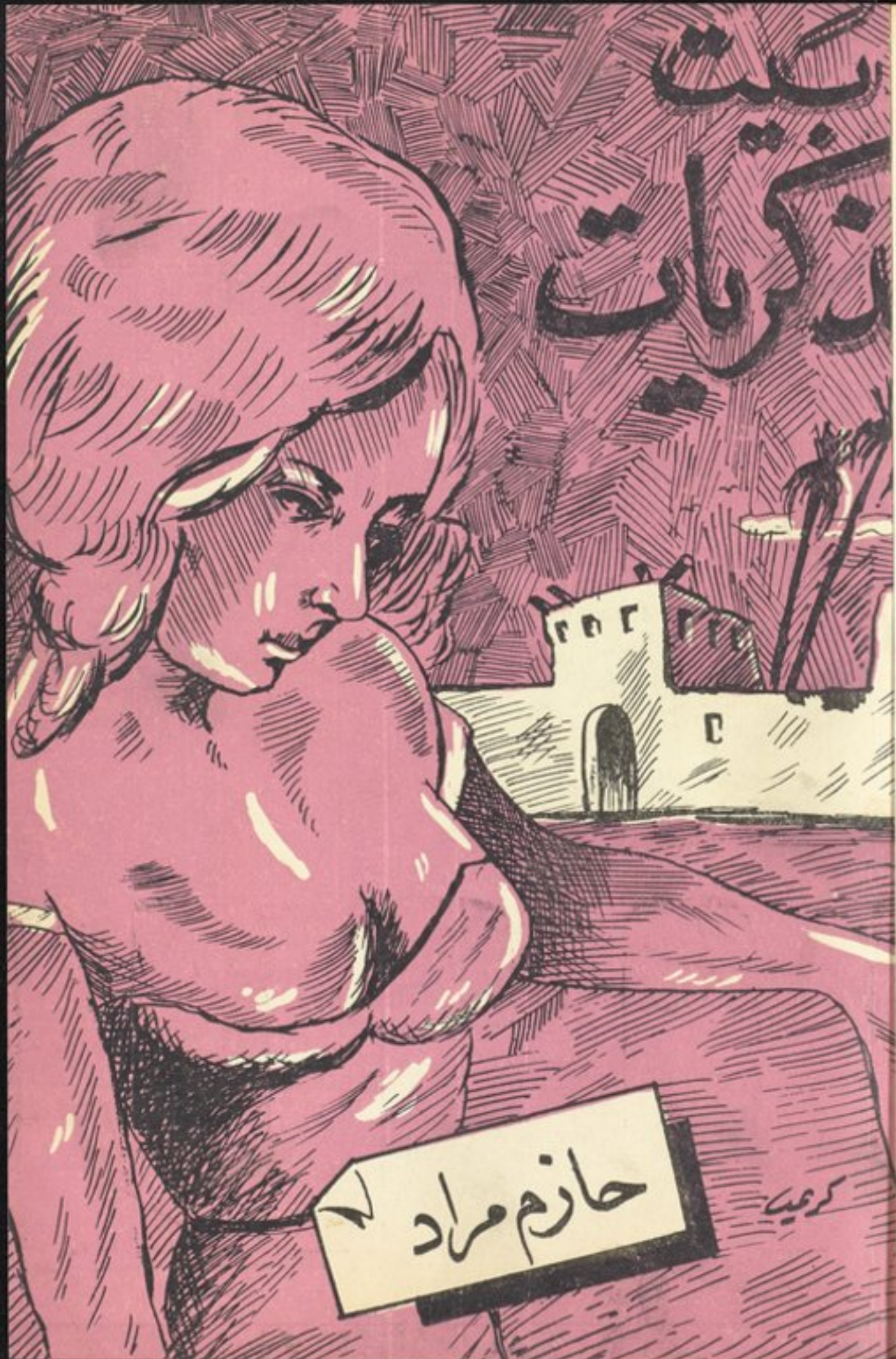
GENERAL LIBRARY





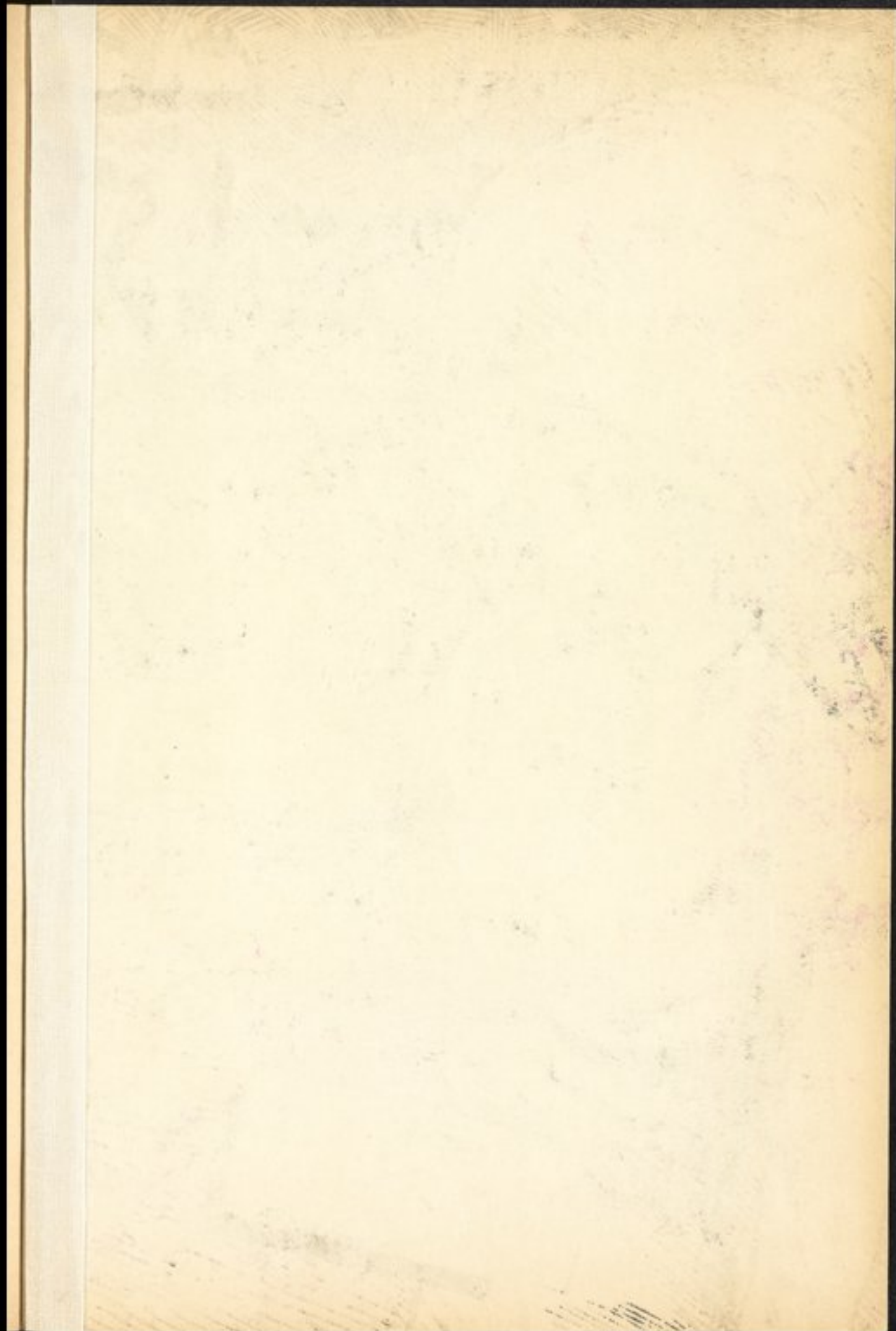






حازم مراد لا

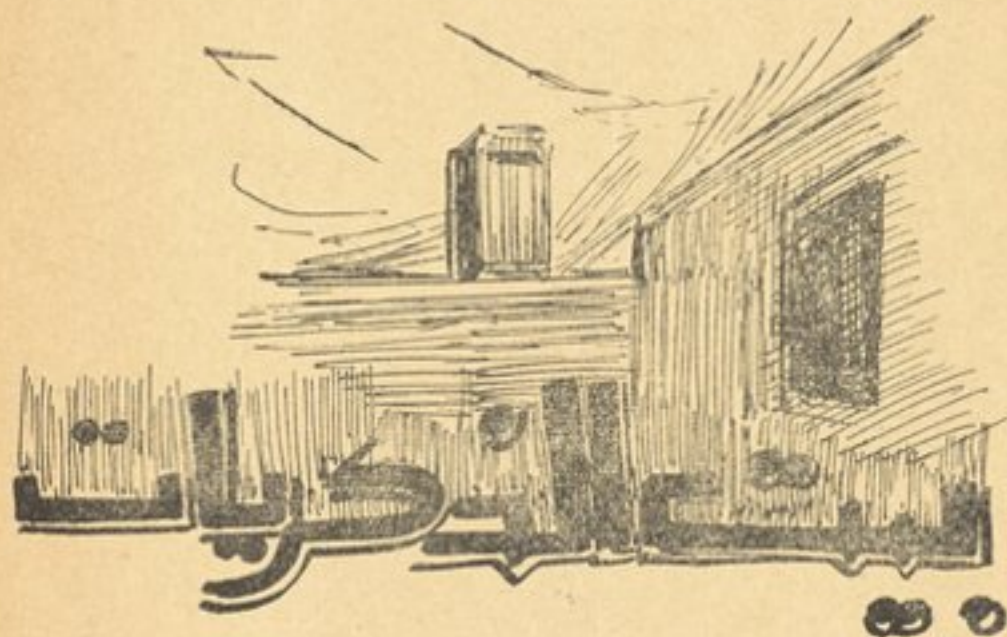
کریمی



بيت الزكريا

الصورة بريشة الفنان مقبل رزق الله

حازم مراد



روایت

P J

7850

. 463

B3

ماذا يمكن ان تسمى الفتاة التي تبحث لها عن رجل لتزوجه ..
مجنونة .. طابثة .. جريئة .. طائشة .. خفيفة ..
لتكن ..

انا هي هذه الفتاة ..

اممي ميادة ..

ميادة عبدالكريم .. فتاة في الخامسة والعشرين من عمري ، جميلة ..
كل شيء في متناسق .. كل شيء ..

وجهي خمري بلون الشراب المعتق الذي تتمنى كل نفس ان تشرب منه
لتذوب كلما استفاقت من سكرتها .. عينايا حالمتان بلون بندقتين كبيرتين ..
شفتاي مكنترتان مذبوحتان يقطر منهما الدم .. حاجباي رفيعان قد
خطتهما انا مل فنان مبدع ورقدا في سبات ابدى فوق العينين الحالمتين
ابد الدهر .. شعري اسود طويل بلون الليل في منتصفه تماما .. طويلة ،
جسدي الرشيق تسنده ساقان رائعتان ممتلئتان قليلا ..

و ..

اشياء اخرى كثيرة في جميلة ولن اقول ماهي ..

هذه انا ..

كتلة ملتبهة من الجمال ..

وكنت منذ صغري ابحت في خيالي عن فارس الأحلام الذي سيأتي في
يوم من الأيام ممتطيا صهوة جواده لينزعي من مكاني الذي اعيش فيه
ويأخذني معه الى الجنة التي احلم بها حيث نعيش معا كل عمرنا لانفكر
بالدنيا ولا بأهلها .. طعامنا الحب ، وشرابنا قبلات شهية نتبادلها كلما
أحسنا بالعطش لتعيننا على الحياة ..

لكن ..

الذي حدث اني قد كبرت ، وبلغت هذه السن ، وفارس الأحلام لم

يأت ..

وقد لا يأتي ابدا ..

و ..

الحكاية ليست بسيطة ..

انها حكاية حياة او موت ..

وقد افتح عيني في الغد على الدنيا فأجد ان عمري قد بلغ عمر فتاة في
سن يصعب فيه ان تحلم بالزواج .. تماما كعمتي نجيبة .. والذي يعرف عمتي
يشهد بانها لم ير في وقت شبابها من كانت تضاهيها جمالا .. لكن ، ذنب
عمتي انها كانت مغرورة بمجالها الى حد الجنون ، ثم مرت الأعوام بها ..
وفتحت عينها ذات صباح على الدنيا لتجد لها قد اختلفت تماما عن اليوم
الذي فات .. وأسفت كثيرا .. لكن ، ما فائدة ان يحزن الإنسان ويأسف
بعد ان يدمر نفسه بيده ..

وانتهى المصير بعمتي الى البقاء من غير زواج .

ومن غير رجل ..

وانا ..

هل اكون مثلها ..

يا الهي .. اشعر بأني ضائعة .. ضائعة في خضم هذه الدنيا الكبيرة

المحيطة بي ، ابحث عن مكاني وسط الناس ثم لا اجد لي اي مكان بينهم ..

وافكر .. تذببحني افكاري القلقة ، وتدمرني .. ثم اتأمل نفسي وانا

اقف وحيدة في الدنيا لا اجد من يلتفت الي ليقول لي كلمات كالتي تقال في

آذان الفتيات الأخريات اللواتي هن بعمري ..

واتحسر ..

وتذوب حفنة الأحاسيس في كياني الممزق .. المتمرد على الدنيا ..

وابكي ..

دائما ابكي حين اشعر بأني ضعيفة تجاه هذه القوى المدمرة الزاحفة

نحوي لتحويلني الى العدم ..

متى يأتي دوري .. ومتى يراني الرجال ويعطوني بعض حقي من

نظرات الإعجاب .. ومتى تحس الدنيا بوجودي فيها ..

وطال انتظاري ..

انتظرت كثيرا .. اردت ان ارى الى اي مدى قد يصل الغباء

بهؤلاء الرجال الذين يسدون اعينهم عن النور الحقيقي ويتبعمون الوهج

الكاذب .. اردت ان ارى متى ستم معجزة المعجزات وتفتح اعين

هؤلاء علي ..

لكن ..

يبدو ان الأعمى لا يمكن ان يفتح عينيه على العالم ، وحتى لو فتحهما
فانه لن يرى الاشياء التي من حوله بوضوح الا بعد عمر طويل ، وحتى
يأتي هذا العمر على عينيه ليرى بهما اكون انا قد انتهيت .

وابتدأت اخاف ..

وفعلآ .. اخذت تنتابني حالات من القلق والخوف على مصيري الذي
اتجه اليه .. واخذت احسب للأيام المقبلة الف حساب ..

ماذا سيحدث لو اني بقيت بلا زواج كل عمري .. ماذا لو تجاهلتنى
السماء واهملتني الدنيا .. حقا ، ماذا سيكون مصيري حينئذ ..

فتيات كثيرات غيري هن دون مستواي من الجمال والرفقة والأخلاق ،
قد استطاعت كل واحدة منهن ان تشق طريقها وسط الرجال لتختار منهم
من يناسبها فتزوجه .. فوزية ابنة خالتي قد خطبها في الشهر الثماني احد
اطباء الأسنان .. وفوزية ليست جميلة .. جمالها اعتيادي ، ليس فيها ماثير
الرجال ويجعل احدهم يسبق غيره لطلب يدها .. ومع ذلك ، فهي على وشك
ان تنعم بالزواج ..

وغير فوزية تزوجت ..

وانا باقية من غير زواج ..

وسألت نفسي مرارا : مالذي وجده هذا الطبيب المجنون في فوزية ..

بماذا اعجب طبيب الأسنان هذا يآرى .. مالذي استهواه فيها ..

لاشيء ..

والله لا شيء .. فليس في فوزية مايشجع اي رجل على الزواج منها ..

لكن عقول الرجال ، لا ادري اين مكانها .. وحتما انها ليست في رؤوسهم ،
والا لكانوا على الأقل ينظرون من خلالها على الدنيا ليتعرفوا على التي
تستحق ان يحلم بها كل رجل لتكون فتاة احلامه وشريكة عمره ..

ثم ..

انفجرت الثورة في كياني ، واحرقت النار كل ما كنت اخزنه من
الصبر في صدري ، واذابته في لحظة من لحظات الحقد والغضب في وجه
الدنيا القاسية التي لا ترحم ..

وقررت ان اتحدى الجميع وابحث انا بنفسي عن الرجل الذي
سينزوجني ..

فكرة مجنونة .. ليست كذلك ..

لكن ..

مالفرق بين ان يختار الرجل شريكة حياته وبين ان تختار الفتاة شريك
حياتها .. مالفرق في عصر لم يعد فيه اى فرق بين الرجل والمرأة .. و ..
ليس للرجل كما للمرأة من الحقوق والواجبات .. اليس هذا ما يقوله المجتمع ،
وما يقوله القانون ..

لا تستغربوا ..

هذا الكلام ليس من عندي ..

انه كلامكم اتم ..

مجتمعكم يقول هذا ..

قلت لنفسي : مادمت سأختار الرجل الذي سأزوجه ، او يتزوجني .

لا فرق ، فعلي ان اريث قليلا ، وابحث كثيرا ليكون اختياري في مكانه ..

كيف اريده ان يكون هذا الرجل الذي سينزوجني .

استعرضت في الرأس عشرات الرجال الذين كنت احلم في يوم من

الأيام ان يكون واحدهم من نصيبي في الحياة .. استعرضتهم واحدا واحدا،
وقلبت شفتي بامتعاض منهم جميعا ..

ليس في واحدهم من يشبع فضولي ويروي خيالي الواسع العريض
واحلامي الكبيرة ..

ونقلتني اكثر من فكرة من مكاني الصغير الذي تخنقه الهواجس
الرهيبه الى عالم الجيل الكبير حيث تغفو الأحلام الوردية الجميلة في سبات
لذيذ ، وطفقت برفق وحنان من حول الجنة الناعسة ونظراتي تنبه في كل
صوب منها بحثا عن مكاني فيها ..

وطالت فترة احلامي ..

ثم ..

اعادتني الحقيقة المرة الى مكاني .. الحقيقة التي تنهش في كياني وتكاد
تمزقني في كل لحظة من لحظات اليقظة ..

كيف تزوج الفتيات ..

سؤال يدور في الرأس .. ويدور .. ويدور ، ويلج على ان البحث له

عن الجواب .. وادور انا في حلقة مفرغة .. لاشيء فيها .. لاشيء من
حولها .. لاشيء ..

واعود خائبة ..

كيف تزوج الفتيات ..

يعود نفس السؤال ليضرب على رأسي ..

متى يهدأ الرأس .

ومرت الأيام ..

وحيرة تنقلني من حيرة ..

افكاري مشتتة .. موزعة في كل مكان ، لا اعرف كيف انقذ نفسي من

هواجسي الرهيبة .. لا اعرف كيف اختار طريقي ..

ابن طريقي ! ..

والمستقبل الذي يزحف الى عمري ليهبه في كل يوم من الأيام المزيد من

الخيبة واليأس .. واكاد اجن . و آتمنى لو ان قسوة عنيفة قد تقف لتصد

زحف الأيام الى عمري .. لو تقف حركة الكون .. لو ان الدنيا توقف

مواصلة زحفها السريع لتمنحني القليل من الأمل في الحياة ..

في كل يوم يتضخم الخوف في قلبي ..

وتكبر خيبة الأمل في نفسي ..

واحتار الكل معي ..

وهم لا يدرون السبب .. وانا لا يمكن ان اقول لهم .. لا يمكن ان

اكون ضعيفة تجاه الناس .. تجاه الذين يعرفوني منهم ..

اريد ان ابقي قوية ..

قوية كما يعرفوني ..

واخذت احبس نفسي في غرفتي ، لا اغادرها الا قليلا .. وانقطعت عن

الخروج من البيت لزيارة صديقتي واقاربي .. اصبحت غرفتي الصغيرة
ملاذني الوحيد .. فيها آكل .. وفيها اقرأ واطالع .. وفيها استقبل
صديقتي اللواتي يزرنني .. و .. تركت البيت كله لأمي التي لم يبق لها بعد
موت ابي الا انا ..

و كنت اشفق عليها من الحالة التي تعيشها معي .. واحيانا كنت
ابكي لها كلما رأيتها وهي تتعذب للعذاب الذي انا فيه .. فأحاول ان ابدو
امامها بحالة طبيعية . احاول ، وابذل المستحيل لأبدو امامها سعيدة ، ثم
تخذلني الحالة اليائسة التي انا فيها ، واعدو الى طبيعتي ..
واتركها للعذاب ..

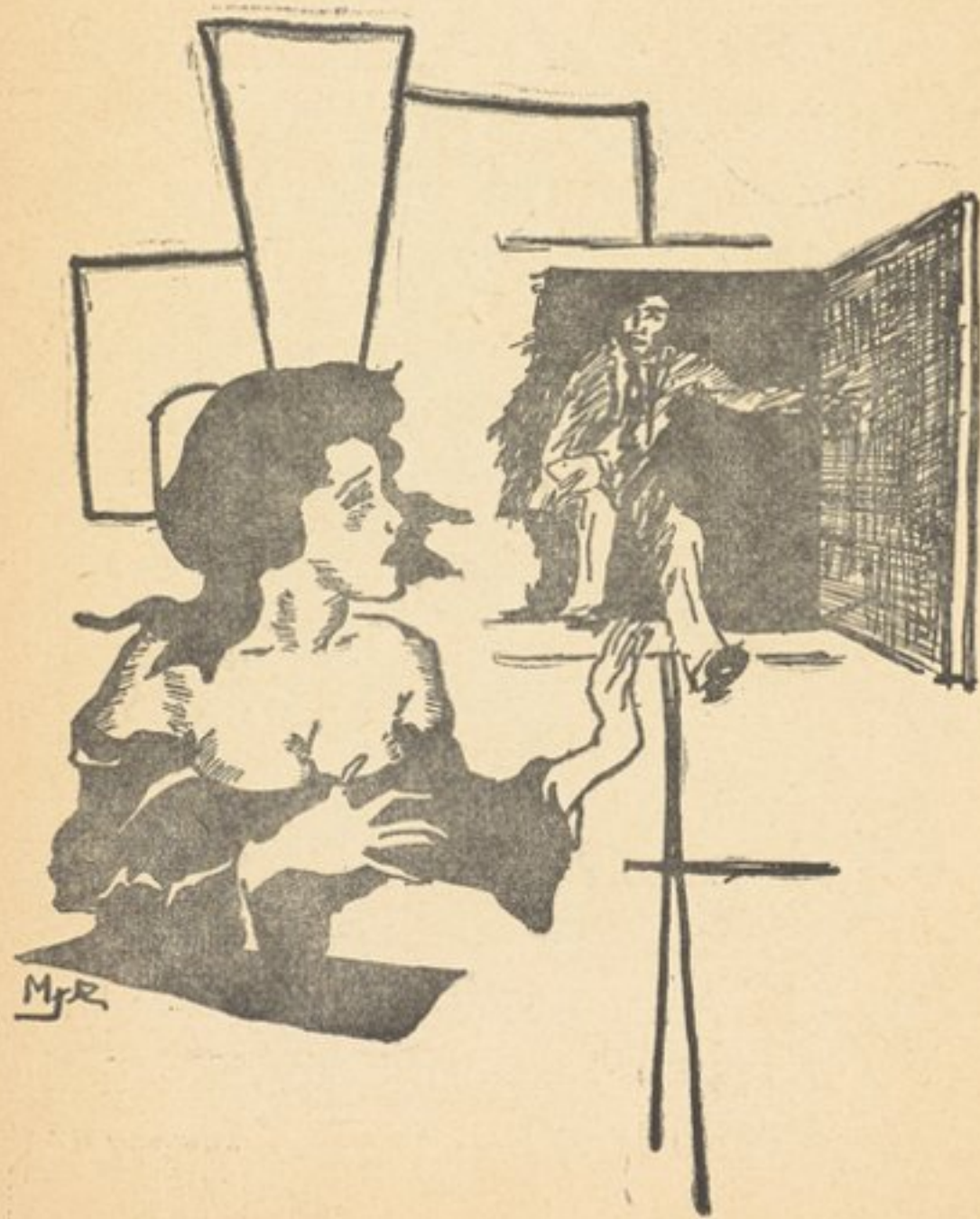
.. و

تلك الليلة كانت رهيبة تماماً .. ثقيلة ، وحزينة .. حاولت ان انام ،
تقلبت في فراشي وانا اغمض عيني لعلني انام قليلا ..
ولم استطع ..

افكاري القاتلة تتسرب دائماً من اما كن مجهولة لتغمر كيانني كله ..
نفس الافكار الثقيلة المرهبة ترقد في رأسي تبحث لها عن الحل لمتاعبي ..
وتطلعت الى الساعة الصغيرة المعلقة على الجدار ..
الثانية والنصف ..

لم يبق الا القليل ويتفجر الليل عن صباح جديد .. ويوماً آخرأ
سيضاف الى عمري ليزيده بأساً وكتابة .. ويوماً جديداً يستعد ليسحبني
نحو حافة الهاوية والشقاء ..
وتدمرت في مكاني ..
.. م

احسست بحركة خافتة تم من وراء باب غرفتي المطل على الشرفة الصغيرة
المطلّة على حديقة البيت ..



رفعت رأسي بلا مبالاة الى مصدر الحركة الخافتة ..

و ..

رأيت رجلا يقف وراء الباب الزجاجي الذي يفصل ما بين غرفتي

والشرفة ..

وارتبكت الدنيا من حولي .. وارتعشت اوصالي كلها من الهلع

والخوف .. احسست بالظلام يغمر كل المرئيات التي امامي .. و اردت ان

اصرخ ، واستنجد بمن في البيت لينقذوني منه .. ثم تذكرت ان ليس في

البيت غير والدتي الضعيفة التي ستزيد الموقف تعقيداً ، ولن تستطيع ان

تفعل اي شيء تجاه رجل ..

ودارت الدنيا بي .. ودارت عيناي تبحث في الظلام الذي يغمر

الشرفة من الخارج عن وجه الرجل ..

وشعر الرجل اني قد رأيت في مكانه ، فديده الى اكرة الباب يديرها

بسرعة ثم دفع الباب ودخل الى غرفتي ، فاعترتني حالة مخيفة من الظنون

وانا اراه مقبلاً مني ، وقت من من مكاني وانا اجر اقدمي ببطء وتحاذل

شديدين لأفر بجسدي من امامه ..

ثم .

في لحظة سريعة لا ادري كيف مرت ، كان الرجل قد قبض على يدي

بكفه القوية ليسحبني من مكاني القريب من باب الغرفة اليه ..

وحاولت ان اصرخ لأستنجد بأمي .. لم اعد افكر الا ان اصرخ ،

وبصوت عال ليسمعني كل الناس اينما كانوا فيهرعوا لنجدي من هذا

الغريب ، لكن يد الرجل ألحمت فمي لتمنعي من الصراخ ..

وجحظت عيناي وانا انظر له بهما من خلال خوفي واختناق انفاسي

في صدري المضطرب ..

وببطء وتراخي افلت الرجل كفه من فوق وجهي وتمم ووجهه
يرتعد من الخوف :

- ارجوك يا آنسة .. لا تخافي ..

استطعت ان افلت نفسي من بين يديه ، وابتعدت خطوة عنه ،
ووقفت انظر اليه من خلال الخوف الذي يبتلعني .. وانتظر هو قليلا حتى
هدأت اعصابه وقال بانفاس خائفة مسمورة وهو ينظر الي بتخاذل شديد :
- لن يصيبك اي اذى يا آنسة .. واني آسف لأفلاقك في مثل هذه
الساعة ..

جمعت انفاسي كلها ، وقلت بسرعة وانا ابتعد خطوة اخرى عنه :
- ماذا تريد ؟ ..

قال برجاء وهو يرنو الي في شبه توسل :

- لا شيء .. فقط ان احتمي قليلا عندك هنا في الغرفة ..

ثم واصل كلامه وهو يرى علام الحيرة مقرونة بالخوف تملأ وجهي :
- اسمعي يا آنسة .. كنت في طريقى لزيارة صديق لي يسكن في الشارع
المقابل لشارعكم .. لم اطرق الباب عليه .. وجدته مفتوحاً ، فدخلت ..
كان صديقي ملقى على الارض والسكين في قلبه .. وجدته مقتولا .. اصبت
بحالة من الذهول وانا اراه جثه بلا حياة ، قلبته بيدي لعل فيه نسمة من
حياة .. ثم ، فجأة .. سمعت اصواتاً كثيرة تم بالقرب منى فركضت ..
تركته في مكانه وركضت لأنجو بنفسى من المأزق .. وصرخت امه ..
ولحقني الناس ليقبضوا على .. وازداد ركضى .. ثم استطعت ان اضيع
عنهم حين تسلقت الجدار المؤدى الى حديقة بيتكم ..

الحكاية كلها بدت لي غريبة . غريبة ومريبة تبعث على الشك والخوف
والحذر معاً .. وقد اكون امام مجرم لم يمض على قتله لأحد ضحاياه الا

دقائق قليلة ، وقد لا يتورع ان يؤذيني لو قت بما لا يرضيه ..

ماذا افعل !.. ماذا !..

حاولت ان افكر بسرعة .. وان اعمل بسرعة ..

وقال وكأنه قد قرأ افكاري المنهمرة من المخيلة القلقة على رأسي :

- قد لا تصدقيني يا آنسة .. لكن ، انا نفسي غير مصدق لما حدث ..

تمتت برهبة وانا احاول ان اتغلب على موجة الخوف التي تلفني :

- وماذا تريد ان افعله لك ..

- لا شيء .. لا شيء يا آنسة ، فقط لو سمحت فسأبقى في الغرفة هنا

بعض الوقت حتى تهدأ الحالة في الشارع ثم اذهب ..

- ولو لا اسمح .. هل ستترك الغرفة ..

قال ببرود وهو يرمق باب الشرفة المغلق :

- سأبقى ايضاً .. لكن ، آتمنى لو تقدرين الظرف الذي انا فيه

وتعذريني ..

سكت ، ولم اقل شيئاً ..

وقال ايضاً وهو يشير لي الى احد المقاعد القريبة مني لأجلس فيه :

- تفضلي واجلسي .. اني آسف ..

جلست .

واختار له مقعداً قريباً مني ودفن جسده فيه ليريح من عناء التعب

بعد رحلة مفزعة من الخوف والقلق ..

ورفعت اليه عيني .. رمقته بنظرة سريعة .. نظرة فيها خوف وحذر ،

ثم عدت فاخفضت عيني عنه الى الارض .. وفكرت :

هل يمكن ان يكون قاتلاً هذا الشاب .. هل يمكن ان يقتل رجلاً ..

غير معقول .. شيء لا يمكن ان اتصوره ..

لا يمكن ابداً ان اتصور ان من كان بمثله يقدر ان يذبح دجاجة .. لماذا
لا ، وكيف استنتجت هذا .. لا ادري .. لكن ، منظره بوجه عام لا يوحى
لأي كان انه قد يفكر بالقتل .. وجهه فيه براءة اطفال في العاشرة .. كلماته
المرتبكة لا تدل على انه قد يفكر بالقتل .. ملابسه .. ربطة عنقه .. ثوبه ..
بدلته .. حذاءه .. كلها انيقة ، قد اختارها بذوق رفيع وارتداها كلها
لتعطي الذي لا يعرفه فكرة متكاملة ومتجانسة عن الرجل الجنتلمان ..
غير معقول ان يكون قاتلاً .. غير معقول ..

وعدت فرفعت اليه عيني ..

والتقت عيني بعينيه ..

وابتسم لي بضيق وتمم وهو يرمق الكتب والمجلات الكثيرة المبعثرة
في كل مكان من الغرفة :

- هل تطالعين كثيراً ! ..

لم اشعر ان في سؤاله اي فضول او تدخل في اموري الخاصة ، وقلت
وانا اكاد ابتسم له :

- جداً .. افضل ان اقتل وقت الفراغ بالمطالعة ..

ابتسم ايضاً ، وقال وهو يقلب بعينيه عناوين بعض الكتب فوق
الطاولة البعيدة عنا :

- يبدو ان اوقات فراغك كثيرة ..

- كيف ! ..

- استطيع ان استنتج بانك تقرأين كثيراً ..

- فعلاً .. لكن ، كيف استنتجت هذا ! ..

- من كل هذه المجموعة الكبيرة من الكتب والمجلات التي تفرق
غرفتك .. والمجلات اغلبها جديدة ..

مضت لحظات سريعة من الصمت علينا ، و اردف وهو يقلب بيده

احد الكتب :

- اما انا فأتمنى لو كنت استطيع ان اجد لي بعض الوقت لأقرأ .. اني اريد ان اقرأ .. اتلهف لمطالعة كل كتاب جديد ، لكن .. ليس عندي اي فراغ في حياتي .. كل دقيقة لها حساب في حياتي ..

بصورة تدريجية اخذت احرر من عقدة الخوف التي كانت تسيطر علي منذ دخوله الي غرفتي ، فقلت وانا ارمقه بعطف وأتمنى لو ان عقلي يبعد شبح الجريمة عن رأسي :

- لكن ، في اعتقادي ان الانسان هو الذي يخلق وقته .. الا تؤمن

بهذا؟ ..

- او من ، لكن هذا الذي تقولينه قد ينطبق على الذي يجد عنده المتسع من الوقت ويختار كيف يبده .. تصوري انا مثلاً ، اشتغل في الصباح في مؤسسة تجارية ، ثم اذهب في المساء الى الكلية ، واعدود من الكلية لأدرس ، وينقضي اليوم وانا لا اقدر ان اجدي ساعة واحدة ارتاح فيها ..

ابتسمت برقة وقلت وانا اندفع معه في الحديث :

- في اية كلية تدرس؟ ..

- الحقوق .. وسأخرج منها هذه السنة .. وتصوري ، اية متاعب

كانت ستعرض طريقتي هذه الليلة ..

عادت مرة اخرى حالة الذهول لتستولي علي .. محامي .. محامي

وقاتل .. محام متهم بقتل رجل .. هل اصدقه! ..

اردف وكأنه يقرأ مايجول بخاطري :

- محامي ومتهم بقتل رجل .. اليس في الأمر غرابة ..

- منتهى الغرابة ..

- اجل .. منتهى الغرابة .. كنت وانا اركض في الشارع التفت الى الوراء فارى الناس تركض ورائي لتقبض علي افكر بالمصير الذي القمني الأقدار فيه ، ثم العن نفسي على الساعة المشؤومة التي خرجت فيها من بيتي لملاقة صديقي المسكين ..

لانت نظراتي قليلا وانا ارى امارات الضيق تظللها مسحة من الحزن تغمر وجهه ، ولحت بطريق الصدفة علبة من السجائر على احدى المناضد القريبة مني ، فقلت له وانا امد يدي الى العلبة :

- هل تدخن .. تفضل واحدة لو اردت ..

قال بأدب وهو يرمق علبة السجائر بيدي بلا مبالاة :

- شكراً .. لا ادخن ..

اعدت العلبة الى مكانها ، وقلت بلا تكلف وانا انظر اليه براحة واحترام كبيرين :

- انا ايضاً لا ادخن .. لكن احياناً تزرني في غرفتي بعض الصديقات فاضطر الى مجاملتهن ..

اراد ان يتكلم ، ثم سكت فجأة .. تبادل الينا معاً اصوات اقدام سريعة وثقيلة تقترب من الغرفة ، فهب من مكانه ليقف على قدميه وانفاسه تتهدج في صدره من الخوف ، وراح ينظر الي وفي عينيه حيرة لا يدري كيف يبدها ..

وطرقت امي باب غرفتي طرقة خفيفاً ، ونادتني :

- ميادة .. افتحي الباب يا ابنتي ..

ارتعدت اعصابه ، وطرقت الدماء الى وجهه ، وراح يبحث بعينية عن اي مكان يختبئ فيه عن الطارق الغريب ..

وارتبكت انا الأخرى معه . . ماذا افعل ، واين يمكنني ان اخفيه عن
امي . . اين ! . .

نظرت اليه بخوف ، وخطرت لي فكرة سريعة ، فقلت له وانا اتقدمه
مسرعة الى باب الشرفة التي اقبل منها :

- عد الى الشرفة . . انها امني ، وسأصرفها بسرعة . .
تبعني وهو يرمقني بحذر . .

وخرج الى الشرفة ، فأحكت غلق بابها بالمفتاح الذي معي ، وعدت
لأفتح باب غرفتي لأمي . .
ودخلت امني . .

وفاجئتني وهي تدفع الباب حال ان فتحته لها :
- هل سمعت ماذا حدث ! . .

قلت وعيناي تتعلقان بالشرفة حيث يختبئ فيها الرجل الغريب وكل
اوصالي ترتعد من الخوف :
- كلا . . ماذا حدث . .

قالت وعيناها تغفوان من التعب قليلا :

- لقد قتل رجلا في الشارع المقابل لبيتنا . .

اقشعر بدني ، وكأني اسمع هذا منها لأول مرة ، وارتعدت نظراتي
الخائفة وهي تعود متسللة الى الشرفة لتطمئن عليه . . ثم عدت لأقول لأمي
وقلتي يكبر في نفسي ولا ادري اي مصير يخبئه لي القدر مع هذا الرجل
الغريب :

- كيف قتل ! . .

- لا اعرف . . الناس تقول انه قد طعن بسكين في قلبه . .

سكين . . سكين ، يا الهي . . احسست بالغثيان ، ودار رأسي وهو

يكبت حيرتي منه وقلقي عليه ، وتمت وانا اجر انفاسي بضيق لأتنفس
قليلا من الهواء :

- وفر القاتل !..

- بل قبضوا عليه ..

انهت كل حيلي مرة واحدة .. واحسست كأني كنت احمق في قلبي
هموم الدنيا كلها ثم في لحظة تأتي من العالم الآخر قوة خارقة جبارة فترفع
كل همومي وتقذف بها بعيدا عني الى لا رجعة .. وببطء ، وتدرجيا ،
لحظة اثر لحظة ، وبهدوء .. بمنتهى الهدوء اخذت استردا نفاسي ، تنفست
قليلا ، وتنهدت بعمق وانا اشعر براحة لاحد لها منذ ان دخل الرجل الى
غرفتي .. واستطاعت ابتسامه صغيرة ان تتوسد شفقي بعد فترة قصيرة ،
وقلت لأمي وفرحتي بنجاته لاتسعني :

- حقا ..

قالت وهي تعيرني ظهرها لتخرج من الغرفة :

- اعترف القاتل واخذوه الى مركز الشرطة .. لاتنسي .. اغلقي الباب

جيذا ونامي .. تصبحين على خير ..

وخرجت ، واغلقت الباب ورائها بسرعة وروحي تهيم تحت سماء
كبيرة يظللها الأطمئنان .. وفرحتي بنجاته ترفع عن نفسي ذرات الخوف
التي كانت تمزج بشكوكي فيه ..

وعدت اليه لأفتح له باب الشرفة وفوق وجهي تشرق ابتسامه كبيرة ..

و فاجئته وانا اعود امامه الى داخل الغرفة :

- لقد قبضوا على القاتل .. هل سمعت ..

لم يتغير اي شيء فيه .. بقيت مسحة الكتابة فامرة كل وجهه ،
وحزنه لم يتبدد ، وحالته لم تتغير .. فقط خوفه كان قد خف قليلا ، وقال

وهو يمرر يده فوق رأسه ينهش بها شعره :

- المسكين ..

قاطعته وانا اضمن اليه تماما :

- تفضل واجلس قليلا ..

جلس في نفس مكانه ، وعدت لأجلس في نفس مكاني .. قريبة منه ..
ورفع الي عينيه المرهقتين .. كأنه يريد ان يشكرني بهما على مساعدتي له ،
ثم عاد فأخفضهما ، وقلت وانا ابتسم له فرحة بنجاته :

- هل تدري .. كنت بين ان اصدقك واكذبك .. لكن ، لا ادري ،

كانت هناك اشياء كثيرة في نفسي تحاول ان تجعلني اصدقك ..

- اشكرك يا انسة .. ولا ادري كيف ارد لك ماقت به نحوي ..

- اني سعيدة بانك لست قاتلا .. وهذا وحده يكفي لأن اكون

مطمئنة ..

طأطأ رأسه ، وفترة قصيرة مرت علينا ونحن صامتين معا ، وعاد فرفع

الي عينيه ، وابتسم ببرود وهو يقوم من مكانه ، وقال بارتباك :

- اني اشكرك يا انسة ..

كان يريد ان يذهب .. ان يعود من حيث أتى .. ان ينصرف ..

ان يغادرني بعد ان عرفته ، وبعد ان حرك شيئاً في قلبي اليه ..

وماذا يمكنني ان افعله في مثل هذا الظرف الشاذ .. وكيف يمكنني

ان اشعره بحاجتي اليه .. بحاجتي الى .. الى .. الى صداقته مثلاً ..

ومد يده الي ، ضغط على يدي التي امددتها له برفق ، ونظراته تقطر

امتناناً بالجميل ، وابتسامته الكبيرة تغمر كل وجهه .. و .. انا واجمة ،

قلبي يخفق من التعب في جوارحي ، ونفسي تتحسر على اللحظات السريعة

التي تمر بي وانا لا اكاد احس بها ، واريد ان اقول شيئاً .. اي شيء ..

مجرد كلمات قليلة اكدف بها اليه .. لكن لساني يصيبه الشلل .. وشيء في
جوفي يحترق .. النار تحرق الدنيا كلها من حولي .. تحرقني حتى الموت ..
وردت شفته بخفوت وانفاسه تذوب في صدره :

- سأعود من حيث اقبلت لو سمحت ..

قلت له وانا اكبت قلبي المتزايد في نفسي من ذهابه :

- لو تبقى حتى الصباح فقد تستطيع ان تخرج من الباب ..

- اشكرك .. لكن ، لافرق ، فقد تعودت على تسلق شرفات البيوت

كما رأيت ..

وابتسم بحزن ، وبادلته ابتسامته بابتسامة رقيقة فيها يأس وحرمان ..

واحسنا معا ، ومرة واحدة ، ان ايدينا لازالت متشابكة ببعض ..

فارخيت يدي المقبضة على يده ، واضطرت يده ان تفلت يدي ، ونظر الي

وشيء خفيف من الحياء يغمره ، وتتم :

- مع السلامة ..

وقفت كالصنم في مكاني انظر اليه .. وسار ببطء وحذر نحو الشرفة ،

والتفت الي وابتسم كأنه يشكرني للمرة الأخيرة عما ابديته له من مساعدة ،

ثم .. اختفى ..

وهرعت من مكاني صوب الشرفة لأراه آخر مرة ..

وكان قد حط قدميه على ارض الشارع بعد ان تسلق الجدار الذي

يفصل ما بين حديقة البيت والشارع ..

وسار في الطريق .. لم يلتفت الى الاعلى .. لم يلتفت الي ليراني ، لم

يكن يعلم بانني قد خرجت من غرفتي الى الشرفة لأطمئن عليه اكثر ..

وتتبعته وهو يتعد عن المكان ، وعني .. واخذ يطفئه بصغر ، ويصغر ،

ويصغر .. ثم اختفى في احدى المنعطفات .

لم اتم بقية الساعات المتبقية من الليل ..
جلست في فراشي افكر فيه ، واستعرض صورته الرائعة في خيالي ،
وكلماته الدافئة ، ونظراته الخائفة من كل شيء .. وحركاته .. و .. و ..
فكرة اخذت تنقلني الى فكرة ..
هل يمكن ان اراه مرة اخرى ! ..
وتذكرت الكلية التي يدرس فيها ..
هل اذهب اليه في الكلية لأراه .. لأطمئن عليه .. لأرى ان كان قد
عاد الى بيته سالمًا ام اعترضه احد في الطريق وهو يعود في آخر الليل ..
و .. كل شيء اخذ يتبدل من حولي بسرعة مذهلة .. كل شيء له غير
المكان الذي اعتدت ان اراه فيه .. الدنيا كلها في تبدل سريع .. و قلبي
يخفق في صدري ، كأنه يريد ان ينطلق من القفص الصغير الذي كنت احبسه
فيه كل هذا العمر ليرى الدنيا في تبدلها الجديد ..
وروحى تهيم تحت سماء رائعة لا حدود لها ..
واريد ان انطلق .. ان اطير .. أحس بنفسي خفيفة في دنيا لا
وزن لها واريد ان اتحرر في لحظة من كل القيود التي تشدني بعالمي الصغير
الذي كنت احيا فيه باوهامي القاتلة لأختار لي المكان الذي يناسبني فاقضى
كل عمري فيه ..

والأرض لاتسعي ..

الأرض لايمكن ان تسع كل هذا الحب الذي يتدفق بعنف لذيذ من

قلبي الصغير ..

وعمري خمسة وعشرون عاما ..

لا .. عمري بضع ساعات .. ربما ساعتين ، وانا احس بأني قد ولدت

الآن .. قبل ساعتين فقط اتيت الى الدنيا ، ومن قبل لم اكن عائشة ..

كنت وهما .. كنت خيالا .. كنت بلا روح .. بلا حياة .. بلا قلب ..

هل هذا هو الحب ! ..

والقيت بكل جسدي على فراشي ، واسترخيت في مكاني ، واحلامي

الكبيرة لاتنقطع .. بل تنضخم ، وتتدفق كالسيل الجارف على قلبي

فتغرقه بالحب حتى القمة ..

وخرجت من غرفتي في الصباح ، ورحت اطوف حول الغرف في البيت

باحثة عن كل شيء فيها .. اتفقدتها واحدة واحدة لأرى ماذا في كل واحدة

منها ، وكأني كنت ادخلها لأول مرة في حياتي .. وكأن البيت ليس بيتي

وانا غريبة عن هذا المكان الذي اراه لأول مرة في حياتي ، واخذت اتأمل

كل حاجة تقع عيني عليها .. ادقق في فحصها ، وانا خفيفة .. اشعر بأني

اخف من اخف شيء في الدنيا ..

وطرقت باب الغرفة التي تنام فيها امي ..

وفتحت لي امي باب الغرفة وعلائم الدهشة تفرق وجهها ، ولم تصدق ..

ووقفت تتطلع في بغرابة ، وببلاهة ، وتمتمت بصوت واطيء وهي تتلقاني

بفرحة كبيرة :

- اهلا .. اهلا ..

- صباح الخير ..

ايضا لم تصدق عينها ، وقالت وهي تميل علي وتقبلني في شعري :

- ماذا حدث للدينا يا الهي !..

قلت بفرحة وانا اقبلها بحنان :

- لم اتم طيلة ليلة امس ..

قالت بفزع وهي تضع يدها على صدرها :

- كنت خائفة ..

- كلا .. كنت اقرأ ..

كأنها لم تسمعي ، وواصلت بقلق :

- حكاية القتل التي حدثت اقلقتك .

- كلا .. حاولت ان انام ولم استطع .. كنت اشعر بالقليل من الملل ..

قالت بحزن عميق وهي تتأملني بحسرة :

- يا ابنتي .. اخرجي الى الشارع قليلا .. اذهبي الى صديقاتك ..

انظري الى نفسك في المرآة ، اليس من الحرام ان تضعي شبابك بين

جدران غرفة صغيرة ..

ابتسمت لها بحنان ، فأستطردت :

- كبرت واصبحت بحاجة الى الشمس .. الى ان يراك الناس ..

تصوري ، ان اكثر جيران محلتنا لا يعرفون ان لي ابنة بعمر الزرود ..

كنت اعرف ماذا تريد ان تقوله ، وهي دائماً تكلمني بالالغاز البسيطة

لتحاول ان تشعرني بما تريد ان تقوله ، وهي تعرف دائماً باني اقدر على

فهم الغازها بمنتهى البساطة ، لذلك لم تحاول ان تبديل طريقتها في الكلام

معني حتى بعد ان كبرت واصبحت بهذا العمر ..

وجلسنا لأول مرة بعد اشهر كثيرة نتناول فطورنا معا حول مائدة

واحدة بعد ان كان فطوري ينقل الي في غرفتي ، وكنت اجد شهية كبيرة



في الأكل .. اشتهيت ان آكل كل شيء كان على مائدة الطعام ..

وعادت امي لتقول وهي تلتهمني بعينيها الناعستين لتتقلني معها من حديث الى حديث وكأنها تخشى ان ابدل في الغد واعدو الى حالي الأولى ، لذلك فهي تحاول ان تتكلم بسرعة ، وتتكلم عن كل شيء مرة واحدة :
- سامية ستزوج في الشهر المقبل . هل عرفت ..

اجبتها وانا انشغل عنها بتناول قطعة من الخبز :

- يقال ان خطيبها غنيا ..

- اعطاها الله على قلب امها .. امها امرأة طيبة ، قاست كثيرا حتى

اوصلتها الى هذا العمر ..

لم اجبها ، فقط هزرت لها رأسي كأنني اؤيدها فيما تقول ، واستطردت امي وهي تتأملني بزهو واعتزاز :

- وانت .. متى يأتي الدور عليك ويسعدك الله بأبن الحلال ..

اضطرت الدماء في وجنتي ، وانمضت عيني عنها لئلا ترى تبديل هو اجسي وهي تعود الي بعد ان كدت انساها في لحظات ذابت فيها حفتة المخاوف في كياني لتتحول الى نسيات دافئة من الحب ..
وعادت لتقول ونظراتها تنصب على كل قطعة في كأنها تزني لترى مقدار استحقاقي من الزواج ..

- الزواج يا بنتي قسمة ونصيب .. وكل انسان يأتي دوره فيزوج ..

كأنني لا اعرف هذا .. كأنني لا اعرف ان الزواج قسمة ونصيب ..

لكن ، ماذا تفعل التي لا قسمة لها ولا نصيب في هذه الدنيا .. ماذا ..

كانت امي بالنسبة لي صديقة .. اكثر من صديقة ، وكنت اطمئن اليها

دائما في مشاكلي ، وارتاح الي احاديثها ، واناقشها على انها ليست امالي

وانما صديقة كبيرة .. اكبر مني ، ولها تجارب كثيرة في الحياة ، وكلامنا

تسوده الصراحة والجرأة دائماً .. فقد عودتني منذ طفولتي على الصراحة
في كل شيء .. لذلك ، فنحن لانخفي اى شيء عن بعض ، ونحاول دائماً
ان نحلل متاعبنا وامورنا الخاصة الى ابسط العناصر الخارجة عنها ونجد
لها مع الحل ..

ويوم ان مات ابي ، منذ اكثر من اربع سنين ، ترك لنا تقاعدا شهريا
يفيض مما نحتاجه لمعيشتنا ، وهذا البيت الذى نسكنه يعود الى عمتي
نجيبة وقد اعطته لنا لنسكنه بعد وفاة والدي مساعدة منها لنا .. وهذه
كلها جعلتنا نعيش عيشة طيبة بين الناس ..

وعدت الى غرفتي ..

وبقيت فيها ، لم أتركها طيلة اليوم .. كنت افكر .. واتأمل بعين
حذرة قسمتي ونصيبى في الدنيا لأرى اين اقف انا منها في هذه الحياة ..
وقادتني افكاري اليه ..

وتغلغل طيفه الى كياني .. وكنت احس به معي .. معي في كل مكان ،
في رأسي .. وفي قلبي .. وفي غرفتي .. وبين اسطر الكتاب الذى رحت
اقلب صفحاته من غير ان استطيع ان اقرأ كلمة فيه ..

كانت افكاري مشتتة ..

ومضى اليوم كله ..

ثم ..

قررت ان اراه ..

لم اعد احتمل البقاء اكثر في غرفتي وانا وحيدة .. لم يعد يكفيني
طيفه .. لم تعد تكفيني الذكرى ، واريد ما هو ابعد من الذكرى ، وما هو
ابعد من الخيال ..
اريد هو ..

وطال انتظاري له وانا واقفة على الرصيف الآخر من الشارع المقابل
للكلية التي يدرس فيها ..

وتعبت ..

اتعبني الأنتظار الطويل

كنت ارتدي فستانا ابيضاً من الكتان ، وتقصدت ان اجعل من
اول لقاء لي به بسيطاً ، هادئاً لا يسوده التكلف ، لذلك لم افكر ان ابدو
امامه كفتاة ذاهبة الى حفلة ليل .. وكلفني اختيار فستاني هذا وقتاً
طويلاً ، فقد وقفت امام دولاب ملابس حائرة ، لا ادري كيف اختار
فستاني الذي سأذهب به اليه ، وقلبت بعيني كل فساتيني التي في الدولاب
ووقفت اخيراً حائرة بينها جميعاً .. حائرة لا اعرف ماذا اختار منها
لأرتديه . هل ارتدي فستاني الدانتيل ، ام الساتان دى شيز ، ام الجيبور ..
ام .. ام .. واحترت تماماً ..

ثم توصلت الى آخر قرار لي ..

ان اكون بسيطة في اختيار الفستان الذي سأقابلة به لأول مرة ،
خاصة واني ذاهبة اليه في الكلية ، وما يرتدى في مثل تلك الأماكن يجب
ان يبعث على الحشمة والتعقل ..

ومرة اخرى .. وقفت حائرة ..

اي عطر اختار لهذه المناسبة .. كريستيان ديور ، ام مدام روتشيه ،
ام كابوجار ، ام .. ام .. ثم لم اضع شيئاً منها جميعاً ، وبقيت حيرتي معي
حتى آخر لحظة وانا في البيت ..

اكتفيت فقط بان مسحت وجهي بالبودرة مسحا خفيفا ، ووضعت
القليل من احمر الخدود فوق خدي الشاحبين فتوردا قليلا ..

واخترت حذاء فلات ابيض يناسب البساطة التي بدوت بها ..
وسرحت شعري الى الورا ، ثم عقصته في ضفيريّتين صغيرتين فبدوت
بهما كفتاة صغيرة في سن المراهقة ..
وذهبت اليه ..

ووقفت انتظره ..

وطالت وقتي ، والحركة خافته من حولي .. لا احد يدخل من الباب
الكبير المؤدي الى داخل الكلية ، ولا احد يخرج منه .. ولا ادري كم
ستطول هذه الوقفة علي ، وقد تمضي ساعة .. ربما اكثر من ساعة على
بقائي في هذه الوقفة التي تجعلني اذوب من الحيرة والقلق في اللحظة
الف مرة ..

و ..

لمحت اخيرا بعض الطلبة يغادرون الكلية من الباب الكبير الذي
انصب من حوله كل احساس ..

وتنبهت من حالة الملل التي كانت تسيطر علي ، وتركزت نظراتي كلها
على الباب احاول ان ابحث من بين شقوقه عن اي اثر قد يقودني اليه ..

وخرج العدد الكبير من الطلبة ، ثم اخذت الحركة تخفت ، وعدد
الطلبة يقل ، وبين فترة وفترة اري احدهم ينفلت من الباب ..
واصابتنني حالة من اليأس من ان لا اجده ..

وتقريباً ، فقدت الأمل ..

ثم ..

رأيت فجأة ينسل من الباب الكبير الى الشارع ..

ودق قلبي برهبة وخوف على صدري .. وأحسست برعدة خفيفة
تصعقني من الداخل ، وارتعش جسدي كله ، واضطربت عيناى ، وابتلعت
ريقي بصعوبة .. ونظراتي منصبة على طول الطريق الذي يوصل ما بينه
وبيني وكأني افرشها امامه ليسير عليها الى ..

وعبر الشارع ..

ورآني ..

وعرفني بسرعة .. كأنه في اللحظة الأولى التي رآني فيها حاول ان
يعصر ذهنه ليتذكرني ، ثم حالا .. في اللحظة الأخرى تذكرني تماما ..
وطافت حول شفتيه ابتسامة رقيقة وهو يدنو من المكان الذي
اقف فيه ، وابتسمت .. لا ادري هل كنت ابادله ابتسامته بابتسامة مماثلة
ام ان ابتسامتي جاءت لتخفف من كبر الفرحه التي غمرتني ككل في لحظة ،
ثم .. كأني لم آت الى هذا المكان من اجل ان اراه هو بالذات فتلفت
بسرعة الى كل الاتجاهات ابحت فيها عن الاشياء لأبعد عنه احتمال ظنه
باني قد جئت من اجله ..

وقال وفوق وجهه تنام فرحة هادئة بلقائي مرة اخرى :

- مساء الخير ..

قلت وانا امد يدي الى يده الممتدة نحوي :

- مساء الخير ..

- فرصة سعيدة ان يتكرر لقاءنا يا انسة ميادة ..

اذهلتنى المفاجئة وانا اسمع اسمي تردده شفثاه ، وقبل ان استفيق من

حالة الدهول التي تملكنتني لأرد عليه ، قال وكأنه ادرك سر ذهولي :

- اسمك يا آنسة آخر الاسماء التي قد انساها ..

قلت وحالة الدهول لاتزال ترسم خطوطها فوق وجهي :

- لكن .. كيف عرفت اسمي ..

قال ببساطة لاتكلف فيها وهو يطوي شفتيه بسرعة ثم يبتسم :

- سمعت السيدة امك تناديك به ..

- آه .. حقا ..

وعاد ليقول وهو منشرح الصدر لوجودي معه :

- لكن ، انت لاتعرفين اسمي ..

ابتسمت ، ورددت بنوع خفيف من الحياء :

- كلا .. لم اسمعه من احد ! ..

- اسمي صلاح .. صلاح ثابت ..

واستطرد بعد لحظة صمت قصيرة وهو يدير عينيه في كل الاتجاهات

ثم يعود بنظراته الي :

- هل تنتظرين احد ..

تلعثمت الكلمات في جوف لساني ، وارتبكت قليلا ثم رددت بسرعة

وانا انتزع كل كلمة من لساني بقوة :

- كلا .. كنت راجعة من بيت صديقة لي ووقفت بانتظار سيارة

اجرة ..

قال وهو يحاول ان يزيل الكلفة التي تظلل الكلمات من حولنا :

- هل تسمحين لي ان اضع سيارتي تحت تصرفك ..

- كلا .. اخشى ان

قاطعني بلهفة وهو يدير عينيه في عيني كأنه يتوسل بهما ان اوافق :

- ارجوك .. دعيني اعيد اليك بعض ما قمت به من خدمة تجاهي ..

ارجوك ..

اخجلتني كلماته الرقيقة بقدر ما افرحتني ، وقلت :

- مادمت تصر ..

ثم اضفت وانا الاخرى احاول ان اجرد كلماتي من صيغة التكلف التي

اطليها بها :

- اخشى لو امتنعت ان تأمرني بالقوة كما حاولت ان تفعل ..

ضحك بحرارة وقال وهو يشير الى سيارته :

- تفضلي اذن من غير قوة ..

وصعدت الى جانبه في السيارة ..

لم اكثر لأي شيء وانا الى جانبه في السيارة .. بل كنت لحظتها

قد نسيت كل الدنيا ولم يعد يشغلني من امور الدنيا كلها الا امرنا معا ،

انا وهو ..

وقاد سيارته بهدوء ونظراته الدافئة موزعة ما بين الشارع الطويل

الذي يسير فيه وبيني ، وكان يحاول دائما ان يختلس لحظات سريعة ليراني

فيها ، ثم يعود الى الشارع ليرى دربه فيه ..

وقال وهو يتمهل في القيادة عند بلوغه نهاية الشارع :

- اين ستذهبن يا آنسة ..

قلت بابتسامة كبيرة :

- الى البيت ، وانت تعرفه بالطبع ! ..

قال وهو يرد علي ابتسامتي :

- طبعا .. طبعا .. فقد زرتة مرة من المرات ..

وعاد الى هدوئه .. ذلك الهدوء الذي يكسب صاحبه شخصية توجب

الاحترام ، ويجعلك تتشوق اليه دائماً . . ونامت عيناه ببطء وتراخي فوق
الشارع يطويه بسيارته ، وابتسامته الدافئة لازالت تتوسد شفثيه . .
ابتصامة ثقيلة .. ثقيلة جدا ، لكن آمنى لوتطول ابد الدهر ..

وقال وهو يعيد الي عينيه ليسترق منى نظرة اخرى :

- قد لاتصدقيني لو قلت لك ان ثقتي بالأقدار كانت اقوى من اليأس ،
واقوى من ان تخيب ظني ، وكنت دائماً . . في كل ساعة اعيد الى نفسي
الأمل في انى سأراك مرة اخرى . . وفعلا ، فقد كانت ثقتي في مكانها . .
قلت وانا اكنم الفرحة التي في قلبي لثلا تفضحني امامه :

- ثقتك بالأقدار ! ..

قال :

- مامعنى القدر . . انه في رأبي الأحساس . . الأحساس العميق
الذي يمتزج بكيان الفرد ليعينه على اكتشاف حياته على ضوء المستقبل . .
ألم يصادفك يوماً ان تذكرت احدى صديقاتك وتمنيت لو رأيتها ، ثم . .
ترينها فعلا في نفس اليوم . .

هزرت له رأسي بالأيجاب ، فاستطرد وهو يرمقني بنظرة ذات معنى

اذابني :

- نفس الحالة حدثت لي منذ يومين ، وتمنيت لو ان احساسي هذا

يعينني على فتح باب الدنيا امامي . .

كان يجب ان احرر قليلا من عقدة الحياء التي تشدني بقوة من مكاني

لتمنني من الاسترسال معه في الكلام . . وان امنحه القليل من الشجاعة

والجراة ليقرب بهما منى اكثر . . لكن ، لساني يرتعش ايضاً في داخلي ،

وابقى امامه غارقة في بحر من الحياء والتردد . .

وتابع وهو يتأملني بلين :

- ثم رأيتك .. كنت على ثقة من اني سأراك ، ان لم يكن اليوم ففي
الغد .. او بعده ، او بعد شهر .. ربما بعد سنة .. او اكثر ، لكنني
سأراك ..

قلت بخفوت وانا ارفع اليه عيني ونفسي تضيع في دنيا غائمة يظللها
الخوف والقلق من كل شيء :
- ورأيتني اخيرا ! ..

- بعد يومين فقط ، وتصوري ! .. كم يحبني الله ..
- ربما كانت الصدفة وحدها هي التي جمعتنا ..
قال بقوة وهو يضغط على خزان البنزين بكل قدمه :
- كلا .. واؤكد لك ان هذا لا يمكن ان يكون من صنع الصدفة ..
ربما يكون من صنع القدر ..

- تقصد الاحساس ..
- اجل .. الأحساس .. ودأما احساسي لا يمكن ان يخدعني ..
ومضت فترة اخرى من الصمت القصير بيننا ، ثم عاد ليقول فجأة
وكأنه قد تذكر شيئاً كان قد نسيه :
- ستقيم كليتنا بعد يومين حفلة تعارف صغيرة .. هل تقبلين الدعوة
لو وجهتها لك ..

نظرت اليه من خلال الحيرة التي اخذت تلفني لحظة بعد لحظة وانا
معه ، وواصل وهو يعيد الى الشارع عينيه :
- ام اصاب بخيبة امل كبيرة ..

قلت بارتباك وانا ادير وجهي الى الشارع لأبدد فيه بعض الحياء
الذي اخذ يشل كل تفكيري :
- لا ادري ..

قال :

- ماهو الذي لاتدرينه ! .. ماهو ! .. اما ان تقبل الدعوة واما ان ترفضها . . وفي حالة رفضك لها سأحاول ان اعود اليك من غير طريق ..
اجبته وقلبي يخفق في جوارحي بشدة وانا خائفة منه .. خائفة على قلبي ان يفضحني امامه ويعريني :

- ماهي الطريقة الاخرى ..

ابتسم براحة عميقة وكأنه ايقن اني موافقة على قبول دعوته ، وقال :

- لا اعتقد اني سأحتاج اليها الآن .. احساسي يقول هذا ..

- الا تتركني لأفكر قليلا ..

قال كأنه قد غضب :

- تفكرين بماذا . . الحكاية ليست حكاية تفكير بقدر ماهي حكاية

ثقة .. فلو كنت تثقين بي فانك حتما ستأتين ..

قاطعته وانا انظر اليه بلين وابتسامة حارة تطفو على شفتي ..

- سأحاول ان آتي ..

ووصلت الى البيت ..

ودعته بابتسامة رقيقة ، ومنحني من بين شفتيه الدافئتين بابتسامة

كبيرة لتعيني على الصبر كل اليومين الباقيين ..

ثم ذهب .

نسيت مستقبلي .. نسيت حكاية العمر الزاحف من حولي ليطويني
مع غيري من اللواتي لا قسمة لهن ولا نصيب في الدنيا .. نسيت مشكلتي
الكبيرة التي كانت تضرب في رأسي في كل ساعة لتمزقني .. نسيت
افكاري المجنونة التي تدوخني .. نسيت .. نسيت كل شيء .. كل
شيء ..

الا صلاح ..

لا .. لم انس كل هذا .. لم انس ، غير ان حيي الكبير ، وهذه المشاعر
العنيفة التي استولت على كل جوارحي هي التي أنستني كل شيء ..
وعجبت للحب الذي يبدل في لحظة كل مشاعرنا ، ويغير نظرنا للحياة ،
وينسينا كل همومنا ومتاعبنا ، ثم .. يمنحنا هذه القوة الخارقة الغريبة ،
ويجعلها تسري مع الدم في الجسد لتمنحنا المزيد من النشاط والحيوية ،
ولتخلق في النفس الزعة الى كل خير ..

هل هذا هو الحب ..

حتمانه الحب ، إذ بماذا استطيع ان اعلى هذه الطفرة الواسعة في
حياتي .. وبماذا يمكنني ان افسر هذه الانتقالة الكبيرة التي حملتني ما بين
يوم وليلة من عالم الظلام الذي كان يحتويني الى عالم كله من النور والضياء ..
هل يحبني صلاح ..

خاطرة سريعة مرت من سماء خيالي الذي يظلل كل الدنيا من حولي ،
فوقفت امامها طويلا افكر .. واحاول ان اجدها المكان الذي يناسب
الحالة التي انا فيها ..

هل يحبني ..

لم استطع ان اقول لا ..

لم استطع ان اقول نعم ..

لم استطع ..

وبقيت حائرة .. وبقيت افكاري كلها معلقة ما بين الشك واليقين .
احترت ، وانتابني الوسوس وخامرني الف فكرة معتمة لتعيد قلبي الى
مكانه في الظلام الذي كان فيه ..

ربما اكون قد تسرعت في تقدير موقف صلاح مني ..

لكن .. هل يمكن ان يلج الى حد ان اخذت تباشير الثورة والتمرد
تلوح على وجهه لحظة ان دعاني الى حفلة الكلية وترددت .. ثم ، مامعني
نظراته الهائمة التي اتعبته من طول ما كان يبقيا معا وهو يكلمني ..
ومامعني ارتعاشة يديه وهما مقبضتان على مقود السيارة .. و .. اشياء
كثيرة غيرها .. تصرفات كثيرة لم تكن طبيعية فيه ، ولا يمكن ان افهمها
الا على انه كان يريد ان يراني مرة اخرى .. ومرة ثالثة ، ورابعة لأنه قد
ابتدأ يحبني ان لم يكن قد احبني بعد ..

ثم ..

احساسه .. حكاية احساسه الذي لا يمكن ان يخدعه .. احساسه الذي
كان يقول له انه سيراني ان لم يكن اليوم في الغد ، او بعده ، او بعد
شهر ، ربما بعد سنة .. ثم رأني .. لماذا كان احساسه يلح عليه ..
لماذا يا الهي ..

الحب .. حتما انه الحب ..

ولا يمكن ان يكون غير الحب ..

احساسي انا الأخرى يقول لي انه يريدني .. انه يحبني .. انه ..

و ..

ذهبت اليه بعد يومين من الانتظار وانا على احر من النار ..

كم وقفت امام المرأة وانا اتأمل نفسي فيها .. لا ادري .. ربما اكثر من ساعة وانا واقفة تملكني الحيرة ويرسم القلق والخوف على وجهي وانا انظر الى نفسي في المرأة .. ودخت وانا ابحت في فسائني عن واحدا منها يناسب المناسبة ، ثم اخترت اخيرا فستانا من الكريب ، لونه ازرق غامق ، تنورته تصل الى فوق الركبتين بثلاث سنتيمات ، ارضيتها مقلمة بخطوط سماوية فاتحة ، وصدرها سادة تتوسطه ازرار زرقاء غامقة من نفس التنورة . واخترت حذاء ابيض ارتقاعه خمسة سنتيمات ليجعلني طويلة قليلا وانا معه ، وابقيت شعري على نفس حالته الاولى .. سرحته الى الورا ثم عقصته في ضفيرتين صغيرتين .. ولم اضع اي نوع من العطور ، كما لم اضع احمر الشفاه .. فقط وضعت قليلا من احمر الحدود فوق خدي الشاحبين فتوردا قليلا ، ومسحت وجهي بالبوردة مسحا خفيفا ..

وكان يقف عند باب الكلية بانتظاري ..

غمرت وجهه فرحة كفرحة الأطفال حين رأي احم بالنزول من سيارة الأجرة اليه ، ثم تبددت فرحته بسرعة لتستولي عليه حالة من الدهول الشديد وهو يراني على غير الحالة التي رأي فيها منذ يومين ..

وهرع صوبي ليستقبلني وهو يمد يده نحوي ، وقال بلهفة كبيرة :

- اهلا .. لم افقد الأمل بالرغم من ..

قاطعته وانا انظر اليه براحة وفرحتي تكبر في كل لحظة وانا معه :

- هل تأخرت ..

- قليلا .. لكن لا يهم .. تفضلي ..

ودخلنا معا الى قاعة كبيرة صفت في كل مكان منها موائد صغيرة ،
في واجهتها صالة صغيرة اشبه بالمرح قد حجبت ما وراءها من الاشياء
ستارة زرقاء كبيرة .. والطلبة منتشرون في كل مكان من القاعة .. شبابا
وفتيات ، يضحكون مع بعض ، ويتهايمسون فيما بينهم ..
ولم يحدث دخولي معه الى القاعة اي رد فعل عند اي من الطلبة ، او
الطالبات .. كان كل واحد منهم قد انشغل بنفسه ، او بمن معه ، فارتحت
كثيرا .. ارتحت جداً لأن ليس هناك من سيراقبني من الذين في هذا
المكان ، وارتحت اكثر للمكان الذي تضيع فيه صورة البنت على ان مكانها
البيت دائماً ..

واخترنا مكاننا بين الناس الذين يلتفون من حولنا على موائدهم ..
وقال لي بهمس خافت وهو يسحب مقعده الى الورا قليلا ويتطلع في
وجهي باعجاب كبير :

- كيف ترين المكان ..

قلت وانا التفت من حولي بسرعة الى كل الجهات واعدود اليه بعيني :

- رائع .. هل هؤلاء كلهم طلبة في كليتكم ..

ضحك برقة ، وتمتم وانامله تداعب حافة المائدة التي نجلس من حولها

بعثت صبياني :

- كلا .. ربما لا يزيد عدد الطلبة عن عشر هذا العدد الذي ترينه ،

لكن .. الناس تعجبها المناسبات دائماً ..

ثم صفق بيديه وهو يرى احد خدم البوفيه يمرق من امامنا ويتعدانا

قليلا ، والتفت الي وسألني :

- ماذا تشربين ..

قلت وانا اخفي بعض ارتباكي عنه :

- هل يجب ان نشرب شيئاً ..

- كلا .. لكن ، على الاقل يجب ان لا تردي طلبي للوهلة الاولى ..

قلت وانا ارد عليه ابتسامته الدافئة :

- اطلب انت اي شيء تختاره ..

- وانت ..

- سأشرب من نفس الشيء الذي تطلبه ..

- لكن ، ربما لا يعجبك الشيء الذي اختاره انا ..

اخفضت عيني عنه وانا احاول بكل طاقتي ان احرر من عقدة الحياء

التي تستولي على كل حركاتي لتحيلني الى اشبه بدمية تتحرك كلما عبثت

بنصبها اليد ..

وعدت اليه .. كان ينتظر الرد بفارغ الصبر ، وقلت :

- سيعجبني .. ماذا ستطلب انت ..

قال :

- هل يعجبك عصير الليمون ..

قلت :

- جداً ..

قال :

- نجربه اذن ..

والتفت الى الخادم وطلب منه قدحين من عصير الليمون ، ثم عاد الي

ليقول بعد ان اصبح الخادم على بعد خطوات بعيدة منا :

- هل تدرين .. كنت قد قررت بيني وبين نفسي لو انك لم تأتي



لكنت اقوم بنفس ماقت به تلك الليلة ..

براءة ، وسذاجة ، ونفسي تفرق في بحر من الحب ، قلت :

- اية ليلة ..

رد وهو يرمقني بنظرة فيها الف معنى ومعنى :

- الليلة التي تمنيت لو يعيدها الله علي في كل يوم ..

ثم اضاف وهو يتسم بحرارة :

- لكن .. من غير قتل ..

واحسست على يده وهي تزحف ببطء وتراخي من مكانها لتقترب

قليلا قليلا وبخوف وتردد نحو يدي ، وحاولت ان ابعد يدي قليلا منه ..

ان اسحبها من نقطة التلاقي .. حاولت بكل قوتي ، لكنني لم استطع ..

شيء في اعماقي نهائي .. وتوقفت يده في مكانها .. على بعد قريب من

يدي وكأنها اصيبت بشلل فجائي فمجزت عن مواصلة رحلتها ..

ونظر الي ..

واخفضت عيني عن عينيه الجريئتين اللتين تحاولان التهامي مرة

واحدة ..

وابتسم .. ابتسم بكل حرارة ..

ثم رمى بيده على يدي ..

وراحت انامله تعبت بظاهر كفي لحظات طويلة .. لحظات ممتعة بقدر

ماهي مرعبة ، وانا لا اعني .. اخذتني النشوة .. كلا ، كان الخوف اكثر

من النشوة .. وكانت حالة غريبة علي وتحدث لأول مرة معي ، لذلك ..

فقد وقعت في حيرة من الأمر .. لم افكر .. لم اعد استطيع ان افكر ماذا

افعل .. بل لم يكن هناك اي وقت للتفكير ..

ثم ، سحبت يدي بسرعة من تحت يده ، وابتعدتها قليلا عنه ، فقال

وهو يتطلع الي بحب كبير :

- ميادة ..

وسكت .. كأنه اراد ان يقول شيئاً ثم اعدل عن قوله في اللحظة
الاخيرة ، وبقيت عيناه معلقتين بعيني لحظات طويلة ، ثم عاد فاخفضهما عني
باتجاه يده وهي تتراجع مدحورة الى مكانها تحت المائدة ..

وسكت كل شيء من حولنا فترة من الوقت ..

الاقلي ، وهذه الحفنة الكبيرة من العواطف العنيفة التي تنطلق من
اصماتي لتحيل كل شيء امامها الى كتلة ملتهبة من النار .. نار لا تحرق ،
لكنها فقط تدخل الدفء الى نفسي التي قتلها البرود كل عمرها ..
واعادني صوته الدافيء من سكوتي الطويل اليه في لحظة :

- بماذا تفكرين ..

رفعت اليه عيني ، كان يتسمم .. نفس ابتسامته الهادئة الثقيلة التي
تمنح صاحبها الثقة والاعتزاز بالنفس ، وقلت بسرعة ونفسي تذيبها شتي
الانفعالات :

- بلا شيء ..

قال كالواثق من اني افكر بشيء ولا اريد ان ابوح به اليه :

- لا يمكن .. انت سارحة ، اذن فانت تفكرين ..

قلت كأنني قد وقعت في الفخ الذي نصبه لي وليس امامي اي امل في

الهرب منه :

- الا يحدث ان يسرح الانسان في عالم من الخيال يتأمل فيه اي شيء

من غير ان يحاول تشغيل فكره به .. فقط يتأمل ولا يفكر ..

قال وكأنه يستدرجني ببطء حتى يوقعني في الفخ الذي ينصبه لي :

- قد يحدث هذا .. هل يعني انك تعيشين الآن في غير مالك ! ..

ضحكت .. اضحكتني الطريقة التي يحاول بها ان يجعلني استرسل معه
في فضح نفسي والكشف عن اهماتي ، فقلت وانا اداعب حافة المائدة
بسباتي :

- هل ان كل من يحاول ان يفكر بعالم افضل يكون قد عاش في عالم
غير عالمه ..

- بالطبع ..

- كيف ! .. انه نفس العالم ، لكن فقط يتمنى لو يتطور اكثر ..
- ان اي اختلاف قد يطرأ على اي شيء من الاشياء يكون قد غيره
من الحالة الأولى التي كان عليها الى حالة جديدة تختلف تماما عن السابق ..
ثم نظر الي ، واستطرد وهو يتلع ريقه بسرعة :

- ومادمت كذلك ، فهل تستطيع ان اعرف ما الذي لا يعجبك في
هذا العالم ! ..

ضحكت ايضاً ، وقلت وانا احاول الهرب من كلماته لثلا اقع :

- لم اقل انه لا يعجبني .. لكن ، فيه امور كثيرة لا ترتاح اليها
النفس ..

- مثلاً ! ..

- اشياء كثيرة ، وكل انسان يعرفها تقريبا ..

- مثل ماذا ! ..

لم استطع ان اقف كجبل من الثلج امامه .. لم استطع ان اكون أداة
جامدة لا حياة فيها يحركها القدر كلما اراد .. لم استطع ، فقد تحطمت
اعصابي بما فيه الكفاية ، وكل شيء في يريد ان ينطلق من قممه الذي
احبسه فيه .. كل شيء يريد ان يثور .. ان ينقل من المكان الصغير
الذي يختمق فيه ليرى النور .. ليرى ماذا في السماء .. وماذا في الارض ..

وتشجعت اكثر ..

تشجعت جدا ، ونظرت اليه بكل ماعندي من قوة ، ومن شجاعة ..
اردت ان اكون جريئة لأول مرة في حياتي .. وقوية .. لذلك ، فقد
حاولت ان استجمع كل قوتي لأضعها في لحظة واحدة تحت لساني ،
وقلت :

- تصور .. ماذا يمكن ان يقال عني لو ان احد الذين يعرفوني يراي
الآن وانا اجلس معك في هذا المكان حول مائدة واحدة ..

قال بلا مبالاة وهو يتطلع الى وجهي بقوة :

- ماذا سيقول .. اريد ان اعرف هذا منك انت ..

- انت .. ما الذي يمكن ان تتخيله ..

- سؤال واحد اسألك اياه .. هل تؤمنين انت بان العالم قد تحرر من

الاغلال الرجعية التي كانت تكبل انفاسه في الماضي ..

- اؤمن .. ولكن ..

قاطعني بانفعال وهو يلقي بكلماته كالحمم على الدنيا ومن فيها :

- وتؤمنين بان العالم في تطور مستمر ..

- اؤمن ، لكن المجتمع لا يؤمن بهذا ..

- المجتمع كاذب .. مخادع .. وربما سافل ..

- المجتمع قوي .. اقوى من اي فرد فيه ، لذلك ، فبأمكانه دائما ان

يقيم من كل شيء الشيء الذي يريد ..

- لكن الجيل الجديد الذي يخرج الى الدنيا ينظر الى المجتمع بغير

النظرة التي كان ينظر بها اليه الجيل الذي سبقه ..

- والمشكلة الكبيرة التي تواجهنا ان مجتمعنا لا يزال يعيش بعقلية

الجيل السابق ..

- لكنه يسير بسرعة الى تفهم عقلية الجيل الجديد، وسترين .. مع مرور الايام اما ان يموت هذا المجتمع في قلوب الناس وينتهي الى العدم واما ان يقتنع بنظرية التطور فيسائر الجيل الجديد وينصاع الى متطلبات حياته .. وحينئذ، ستبين ان الناس هي التي ستخلق المجتمع وتكونه .. قاطعته :

- وحتى تمضي هذه الايام كم من الضحايا ستسقط في ارض المعركة! ..
- التضحية ضرورية .. كل شيء لا يقوم من غير تضحية .. لكن الذي يعوزنا نحن ليس التضحية بقدر ما نحتاج نحن الى الشرف .. ناس لهم شرف ويعملون به .. ولكي نبحت عن عالم افضل لنا جميعا ومجتمعنا ارقى من هذا الذي نحن فيه يجب ان نكون شرفاء ..
الشرف .. الشرف .. الشرف ..

هذه الكلمة تخيفني ..

تخيف كل فتاة .. تخيف كل الفتيات .. ولا تخيف الرجال ..
وكأن الشرف هذا ينحصر فيهن دون بقية عباد الله .. الفتاة فقط يجب ان تكون شريفة .. طاهرة وشريفة ، وان تحافظ على شرفها لتعيش بين الناس نظيفة لاتلوكها الألسن ولا تمزقها الحكايات ..
والرجل لا يحتاج الى هذا! ..

الرجل دائماً ، في كل الحالات هو شريف ..

وقد تخطيء الفتاة مرة واحدة في صمرها ، تزل ، وتسقط ، فيتلوث في لحظة هذا الذي اسمه الشرف فيها ، ويعتبرها المجتمع امرأة ساقطة ..
ساقطة في نظر الناس .. ساقطة في نظر الرجال الذين كانوا هم السبب في ان تكون غير شريفة ..

ثم تنتهي حياتها من المجتمع ..

ولو يخطيء الرجل ..

لو يخطيء الف مرة ، فماذا ستكون النتيجة ..
لا شيء .. لا شيء ، أو كد لكم ان لا شيء يصيبه ..
المجتمع يقول هذا ..
المجتمع يريد هذا ..

مجتمعنا الشرقي هذا الذي يؤمن بان الشارب دائماً هي التي يجب ان
تسيطر وتحكم وتأمّر .. ويستطيع الرجل دائماً ان يخلق شاربه ثم ينميه
حين تقتضي الحاجة اليه ، لكن المرأة لا تستطيع ان تتنازل عن عفتها ،
وان فعلت فلن تستطيع ان تستردها ..
وهذه هي المهزلة ..

وستبقى هذه المهزلة قائمة مادامت حكاية الشارب هذه باقية ، وما دمننا
ثؤمن بها على حل قضاياها ..
كم استغرقت هذه التأملات مني من الوقت .. والى اي مدى كنت
سارحة مع خيالاتي ابحت عن اشياء مفقودة فيها ولا اجدها ..
لا ادري ..

الذي ادريه اني احسست على نفسي وانا معه في السيارة وهو يقودها
على مهل ليوصلني الى بيتي .. لا .. لا .. لم احس وانا معه في السيارة على
نفسي .. كنت ايضا ضائعة .. ضائعة مع خيالاتي القلقة التي لا حدود
لها ..

لكن الذي حدث ونحن في منتصف الطريق الى البيت ان اوقف
صلاح السيارة في آخر احد الشوارع الفرعية .. بعيداً عن الضوء
الشاحب الذي يطل علينا من فوق احد الاعمدة العالية ..
واطفاً محرك السيارة ..
وافقت على نفسي ..

وتطلعت اليه من خلال الظلام الشديد الذي يطوي كل شيء من
حولنا .. ولم استطع ان اتبينه بوضوح .. كان الظلام يغطي كل شيء
بستارة سوداء قاتمة ، مخيفة الى حد الموت ..

.. ثم

تنبّهت على يده وهي تتسلل نحوي .. تقترب ببطء يصاحبها الخوف
والتردد .. ويزداد اقترابها لحظة اثر لحظة .. ثم ، اصطدمت بي ..
بصدري .. ثم انسحبت يده شبه مذعورة لتلتف حول خصري وتشده
اليه قليلا .. ثم ، ازداد السحب ..

وتنبه كل شيء في ..

تنبّهت كل اعصابي النائمة في سبات من الهدوء .. وتنبه قلبي ،
وازداد وجيبه وتعالق دقاته على صدري .. وانفاسي تتلاحق .. وعيني
تلفها غمامة من الظلام الشديد .. قلبي ايضا كان يسبح في بركة من
الظلام ..

واستجمعت انفاسي المضطربة مرة واحدة ، وقلت وانا احاول ان
ابعد نفسي عنه قليلا :

- صلاح ..

واقترب اكثر .. واكثر .. وكأنه لم يسمعني ، او لا يريد ان
يسمعني .. يريد فقط ان اسكت .. لكن انفاسه حارة ، وتكاد تخنقني ،
وتسد علي كل الهواء ، واشعر بالضيق .. بالأختناق .. بالموت .. واريد
ان اتنفس قليلا .. اريد المزيد من الهواء لئلا اختنق .. الهواء
يا الهي :

- صلاح .. كلا ..

قال بانفاس لاهثة حارة يقذف بها صدره فوق وجهي لتحرق في

كل شيء :

- ميادة .. اني احبك ..

- ارجوك .. دعني ..

- احبك .. انت لاتعرفين الى اي حد احبك .. اني ..

دفعته بكل قوتي عني ، وصحت به بصوت حاولت ان اجعله

مهذبا قليلا :

- كلا .. دعني ارجوك .. اتركني ..

وقرب شفتيه من وجهي يحاول ان يقبلني بها .. وابتعدت

وجهي عنه .. ابتعدته بسرعة وبكل ما عندي من قوة .. لكنه

كان أقوى .. ويداه قويتان جدا ، وقد التفتا من حولي بكل

قوة صاحبها ..

وقبلني ..

مرة ، ومرتين ، وثلاث مرات ..

ودفعته ، وصرخت في وجهه وانا اكاد اختنق من لفح انفاسه الحارة

التي تحرق اعصابي فتدمرها :

- اتركني .. الا تفهم .. اتركني ..

وانسحب من مكانه وهو يرتعد ، وسحب معه انفاسه اللاهثة

ليبعدها قليلا عني ، وترك يده تسقط بحركة لا شعورية من حولي ..

وسكت .. ولم يقل اي شيء ..

وعاد ليقود سيارته ..

ومضت فترة طويلة من الوقت علينا ونحن ساكتين لا نتكلم .. وكل

منا يريد ان يقول شيئا للآخر .. لكن ، لانعرف كيف نقوله ، وتموزنا

في الجراءة ..

وكنت ان اصل الى البيت حين التفت صوبي وتمتم بانكسار شديد
وهو لا يحاول ان يرفع الي عينيه :
- اني آسف لما حدث ..

لم اجبه ، فعاد ليقول واعصابه تنهار ببطء في كيانه
الخائر :

- اني آسف .. ما كان ينبغي ان اعبر عن شعوري بهذه الطريقة
المبتذلة ..

سكت ايضا ولم اجبه ، فعاد ليقول وهو يخفف من سياقته قليلا
ليطيل الدرب الى بيتي :

- قلت اني آسف وانت لا تردين ..

قلت ببرود وانا احس بكل قلبي يتفتت لحاله :

- وماذا تريدني ان اقول ! ..

- لا شيء .. فقط ارجو ان لا اكون قد
اغضبتك ..

واوقف سيارته في اول الشارع المؤدي الى بيتي ، وفتحت الباب
لأنزل من السيارة ، فقال وهو يتأملني بحيرة والدينا تنظم
في عينيه :

- هل اراك غدا ..

التفت اليه ، لم استطع ان اطيل عذابه وعذابي اكثر ، وابتسمت
له ، فاستطرد وهو يستعيد بعض قوته وهدوئه :
- سأنتظرك غدا قرب الكلية ..

تمالكت لهفتي الكبيرة وكبت النار التي تدغدغ قلبي لتمنحني المزيد

من الدفء ، وقلت :

- سأحاول ..

- الساعة الخامسة مساء ..

.. و

عدت الى البيت وكل الدنيا من حولي تفرق في الحب .

ودخلت البيت تسبقني آمالي الكبيرة الممتلئة بالحب ..
كنت اريد ان اعبر عن فرحتي بأية طريقة .. بكل حركة ، بكل
التفاتة ، بكل وسيلة .. الفرحة تكبر في قلبي .. ودأماً تكبر ، وقلبي
لا يمكن ان تسعه كل هذه الفرحة ، واريد ان ارقص .. لا لشيء ، فقط
اريد ان ارقص ، وارقص ، وادور مع الكائنات حتى ادوخ فأقع ..
واريد ان املاً الدنيا ضجيجاً .. لا لشيء ، واغني .. اغني باعلى صوتي
لتسمعي الدنيا كلها ..

والتفت ابحث من حولي في البيت عن امي ..
ثم ناديتها بصوت واطيء وانا ادور من حول نفسي بحركة سريعة
وكأنني اريد ان ادور ، وادور بسرعة ، ثم ارتفع عن الأرض ، ثم احلق ..
احلق بعيداً الى العالم الذي يرسمه لي خيالي ..
- ماما .. ماما ..

وانتظرت لحظة ، ولم يأتي ردها ، وعدت لأناديتها بصوت اعلى قليلاً
وانا ابحث عنها بعيني في كل زاوية من الصالون :
- ماما ..

وجاءني صوتها من غرفتها ضعيفاً ، خافتاً يشبه الأنين ، فانهد حيلي كله

مرة واحدة ، وهرعت اليها وانفاسي تضطرب من الخوف في صدري ..
ورأيتها ..

كانت مستلقية في فراشها ، وجهها يلفه الشحوب ، ونظراتها ذابلة
تسكاد تنطفيء في كل لحظة ، وجسدها يرتعش من البرد ، وانفاسها تلهث في
صدرها ..

وانحنيت على سريرها وقلبي يغوص في اعماقي من الحزن والخوف معا
عليها ، ومددت يدي الى يدها افركها لها بلين .. كانت يدها حارة .. حارة
جدا ، وكانت سارحة عني تماما ، كأنها لم تشعر بوجودي معها في الغرفة ،
وانفاسها لازالت تتلاحق في صدرها ، ونظراتها هي هي ، ذابلة ذبول
الوردة وقد نزعت عنها نسمة الحياة ..

وقربت وجهي من عينيها المغمضتين وانفاسي تختنق في صدري ،
والدموع تفرق عيني ، وهمست في اذنيها وانا اهز يدها برفق لتعي
بوجودي معها :

- ماما ..

لم تجبني ، لكنها استطاعت ان تفتح عينيها قليلا ، ورأتني ، ثم ابتسمت
لي ببرود من خلال اوجاعها لتطمئنني الى ان حالتها بخير ، فقلت لها وانا
لا ازال افرك لها يدها :

- ماما ، ماذا حدث ..

رددت شفاتها ببطء وارتحاء وهي تلتفت من حولها تنظر بعينيها
الذابلتين الى لاشيء :

- متى عدت يا ابنتي ..

لم احتمل اكثر ..

لم احتمل كل تلك الأوجاع التي تريد ان تخفيها عني وانا احس بها

تنخر في كياني حتى تذيبه من الألم ، فركتها تنن في مكانها وقت لأتصل
بالطبيب في التلفون ، ورجوته ودموعي تبلل كل وجهي ان يستعجل
بالجبيء ، ثم عدت اليها . .

ورأتني وانا ادخل الى غرفتها ودموعي تبلل كل شيء من حولي ،
فتمتت من خلال انفاسها التي تخنقها :

- لماذا تبكين يا ابنتي . . لا تخافي . . تعالي واجلسي بقربي . .

جلست بقربها وانا اعد الثواني البطيئة لعل الطبيب قد يصل بعد
قليل . . ومددت يدي الى يدها لأفركها لها . . حرارتها في ارتفاع . .
ويدها تحرقني . . تحرق قلبي ، ونظرت الى عينيها النصف مغمضتين عن
الدنيا ، وتمتت وانا احبس الدموع في عيني وآنمزق من الحزن عليها :

- هل تحسين بأي ألم . .

قالت وهي تتألم من الوجع :

- وجع خفيف وزال يا ابنتي . .

ورن في تلك اللحظة جرس الباب فهبيت من مكاني كالمسوعة من شيء
اليه وقلبي يدق على صدري ليمزقه بسياط من الألم . .
واقبل الطبيب . .

وخصها ، وطمأنني على ان حالتها لا تستوجب الخوف ، وانها تحتاج
الى الراحة ، وكتب لي بضعة انواع من الأدوية على عادة الاطباء دائماً ،
وخرج . .

ومضى بقية اليوم وانا بجانبها احضر لها الدواء ، واعد لها طعاما
خفيفا يناسب مرضها ، واسوي لها فراشها بين ساعة وساعة . . وكانت
تفتح عينيها بين وقت وآخر فأسألها عن حالتها فتطمئنني ، وكنت كلما
احسست بالقلق اخذت يدها بيدي لأتحسس حرارتها ، او اعطيها مقياس

الحرارة ، وأفرح حين أجد ان حرارتها في انخفاض دائم ..
وقضيت كل الليل وانا معها في غرفتها ، ساهرة لا يأتيني النوم بالرغم
من التعب الشديد الذي اضنى جسدي ، وكانت تحاول ان تجعلني انام
قليلا ، وتلح علي ان انام ولو لساعة واحدة ، فأسترخي في مكاني على
احدى الأرائك في الغرفة واحاول ان انام .. ثم لا أستطيع ..

واقبل الفجر ..

وانا صاحبة ..

وقليلا قليلا ، اخذت صحتها تتحسن في اليوم التالي ، فمات الذبول في
عينيهما ، وعاد الى خديها لونهما قليلا وزال عنهما الشحوب ، واستطاعت
ان تجلس في فراشها وتتناول طعام الفطور الذي كنت قد اعدته لها ..
وكنت اتطلع اليها بحب وحنان كبيرين وهي تأكل طعامها ، وبين
لقمة واخرى كانت ترفع الي عينيهما وفيها دعوة عطف كبيرة ، وتتمتم
وقلبها الكبير تفرقه السعادة لوجودي معها :

- لقد اتعبتك يا ابنتي ..

واحس بالمزيد من الحب اليها ، واكبت الدموع التي توشك ان تنطلق
من عيني لتعبر لها عن ضعفي وعجزتي لولاها ، ثم اسكت .. فقط اتأملها
وأتمنى من الله ان يبقيا لي الى الأبد ..



الليل ثقيل ، ممل ، وكريه على الذين يحبون . . والبعد قاتل ، مدمر ،
ومخيف على الذين تطويهم المسافات الكبيرة لتبعدهم عن بعض . .
وانا وحيدة . .

وحيدة ادور في غرفتي الموحشة ، حائرة مع نفسي التائهة في اعماق دنيا
جديدة لم آلفها من قبل . . والليل في اوله . . وكل شيء فيه يبعث على
الهدوء والحكمة . .

كل شيء الا قلبي . .

قلبي الضائع في خضم هذه الحياة يبحث فيها عن مكان له ليهدأ فيه
قليلا . .

وتقلبت في فراشي . .

حاولت ان انام . . ان اسلم اجفاني للرقاد . . ان ارتاح قليلا من عناء
التعب الذي ينهك كل قواي . .

ولم استطع . .

ليس من السهل ان يستطيع الانسان ان يسلم نفسه للنوم وهو في حالة
قلق شديدة تثير فيه كل حواسه . . ليس من السهل ان يلم الانسان شتات
همومه وحفنة افكاره المبعثرة في كل مكان من الدنيا فيدفنها ما بين عينيه

ويسدل عليها اجفانه فيهدأ .. ليس هذا بالشيء السهل ..

و ..

ثلاثة ايام مضت وانا لم اراه ..

ثلاثة ايام طويلة منذ ان رأيتَه آخر مرة ، وفي كل يوم من هذه الايام تتضخم الحيرة في قلبي ، وتفتابني هواجس مثيرة .. ودأماً ، في كل ساعة ، في كل لحظة احس بأني مقدمة على تذويب عمري بمادة القلق ، واني اذوب بسرعة .. واذوب .. وكل شيء في يذوب بسرعة ليتحول الى الفناء الذي صنع منه ..

ومتى سأراه ..

متى اراه مرة اخرى لعلمي قد استعيد بعض ثقتي بنفسي وبالقدر الذي بت اكرهه بقدر ما اخشاه ..

لا ادري ..

وامي هي السبب .. هي التي تقف في طريقي وهي لا تدري .. امي ومرضها ، ودور النقاهة الذي تمر به ، وليس من المعقول ان اتركها لوحدها في البيت واذهب اليه لأراه ..

وتركت فراشي ..

الأرق .. الضعف .. انحلال تام احس به يتسرب الى كل جسدي فيشل كل قطعة فيه .. الضيق من كل الاشياء المحيطة بي تجعلني اعيش كالمجنونة .. كل شيء في الغرفة يقلقني .. يعذبني .. يمزق لي اعصابي .. وعدت الى فراشي بعد ان تجولت في الغرفة فترة طويلة ابحث في الاشياء المحيطة بي عن سبب ضيقي وتبرمي من الدنيا ..

اريد ان انام .. ان انام ولو لساعة واحدة لعلمي استطيع ان ابدد

بعض قلقي الذي يدمرني ..

وتقلبت في الفراش . .

ثم . .

شيء في اصمائي انتقط صوتا خافتا ينم من وراء الباب الزجاجي الذي
يفصل ما بين غرفتي والشرفة . .

وهيبت فجأة من مكاني كالمسوعة من شيء وقلبي يضطرب في
جوارحي من الرهبة والخوف . .

وتطلعت الى صوب الشرفة . .

ورأيته . .

وانهد حيلي كله وانا اراه يقف بلا مبالاة وراء الباب يتأملني

ببرود . .

وقمت من مكاني اليه . .

كنت خائفة . . نوع غريب لم آلفه من الخوف تسرب الى نفسي ،
وارتعش جسدي كله ، وساقاي لا تقويان على حملي ، كأنهما اصببتا بالشلل ،
واشعر بأني داخنة . . انقاد الى المكان الذي يقف فيه بلا وعي مني ولا
ارادة . . مجرد اسير وانا مسحوبة باتجاه قوة عنيفة لتشدني اليه . .

وفتحت له باب الشرفة . .

لم ينتظر مني ان اقول له اي شيء ، وعاجلني وهو يدفعني امامه الى
داخل الغرفة ويغلق باب الشرفة من ورائنا وانفاسه تلهث في صدره من
شدة التعب :

- لماذا لم تأتي . لماذا . .

تلعثت الكلمات في جوف لساني . . كنت مرتبهة ، وقد خف خوفي
قليلا ، لكن اشياء اخرى غير الخوف كانت تعقد لساني . . مجرد وجوده
في غرفتي في هذه الساعة من الليل كان يقلق كل شيء في ، فقلت له وانا

ادور من حولي بعيني ابحت عن لاشيء :

- صلاح .

لم ينتظر لحظة ليسمعني ..

وانزعني بكل قوته من مكان ليطويني بين ذراعيه ، وتحركت
شفتاه بسرعة لتنقض على شفتي مرة واحدة ..

وقبلني بحرارة .. بقوة .. بمنتهى القوة ، ولانت شفتي وانا بين
ذراعيه القويتين بعد ان كانتا صلبتين كالحجر ، باردتين برود الأ-سوات ،
وانفرتنا قليلا .. قليلا جدا لتضم بينهما شفتيه الحارتين الممتلئتين
حياة ..

وتتم بخفوت وانفاسه تضيع فوق شفتي لتمنحهما المزيد من الدفء :

- كيف تفهمين اني احبك ..

- صلاح ..

قال وهو يسكتني بقبلة اخرى طويلة :

- لماذا لم تأتي . لقد انتظرتك . انتظرتك حتى فقدت الأمل ..

سحبت نفسي من بين ذراعيه وانا احس بشوق للعودة اليهما في كل
لحظة ، وقلت له وانا اهرع الى باب غرفتي فاقلقه بالمفتاح خشية ان تأتي امي
فجأة فتراه معي :

- امي مريضة ، واضطرت ان ابقى لجانبها كل هذه الايام ..

لانت قليلا نظراته ، وقال كأنه يواسيني :

- كيف هي الآن ..

- الحمد لله ، فقد زال الخطر عنها ..

قال وهو ينظر الى عيني بشوق كبير :

- لقد اقلقتني كثيرا .. كان يخيل لي وانت بعيدة عني كأن الدنيا

قد لفظتني من الحياة . .

قلت وانا اتحرر بسرعة من عقدة الحياء التي كانت تلازمي كلما

كنت معه :

- كنت اريد ان اراك . وتمنيت لو اني استطيع ان اخرج ،

لكن . .

قاطعني بلهفة وشوق كبيرين :

- ميادة . . انت لا تستطيعين ان تقدري كم كان القلق ينخر في قلبي

ليذيه في الشك القاتل في كل يوم يمر ولا اراك فيه . . لكنني ابدالم افقد

الأمل . . بالعكس ، كان الأمل يملأ قلبي دائماً فاحس بك وانت بعيدة عني

قريبة من قلبي . . ودائماً كنت اختلق لك العذر الذي يبرر عدم مجيئك . .

ابتلع انفاسه بسرعة واستطرد وهو يتأملني بحنان وحب :

- اني احبك يا ميادة . . احبك . .

كنت اقف قريبة منه ، على بعد خطوة قصيرة منه ، حاولت ان

اتجاهل نظرات عينيه الجريئتين اللتين يحاول بهما ان يلتهمني كلي مرة

واحدة . . ولم استطع ، والتقت نظرانا في نقطة قريبة منا . .

ومد يده بتراخي وهي ترتعد من اللهفة والشوق الى وجهي ليرفعه

قليلا اليه ، وقال وانامله تغور في شعري تساويه برفق وحنان :

- ميادة . . عديني انك لن تتركيني ابدا . . عديني . .

لم ينتظر ان يسمع مني اية كلمة . . لم ينتظر ، وقرب شفتيه من وجهي

ليلتقط بهما شفتي ويسكب فيهما ماء الحياة ليعينهما على البقاء ابد الدهر . .

وقبلني . .

وقبلته اكثر من قبله . .

انا الاخرى كنت بشوق ولهفة الى شفتيه لأطويهما بكل رقة الى

شفتي لعلهما قد تمنحاني المزيد من الاطمئنان والثقة بالدنيا . .
وتمت شفثاه وهما بين شفثي :

- عديني . .

انتظرت لحظة طـويلة حتى استطعت ان اسحب نفسي من بين شفثيه
الدافتين ، وهمست بخفوت وانا ارتعد من البرد في مكاني :

- احبك .

• وعدت اليه .

و . .

تعلم الطريق الي . .

الطريق الي غرفتي . .

لم نعد نلتقي في الخارج . . لم يعرض هو علي ان القاه في مكان ما ،
وبطبيعتي كفتاة فضلت ان لا اسأله . . انتظرت حتى اللحظة الأخيرة
المتأخرة من تلك الليلة التي زارني فيها ان يسألني اين سيراني في الغد . .
لكنه لم يفعل . .

وعاد من حيث اقبل متسللا من الشرفة الي الشارع . .

و . .

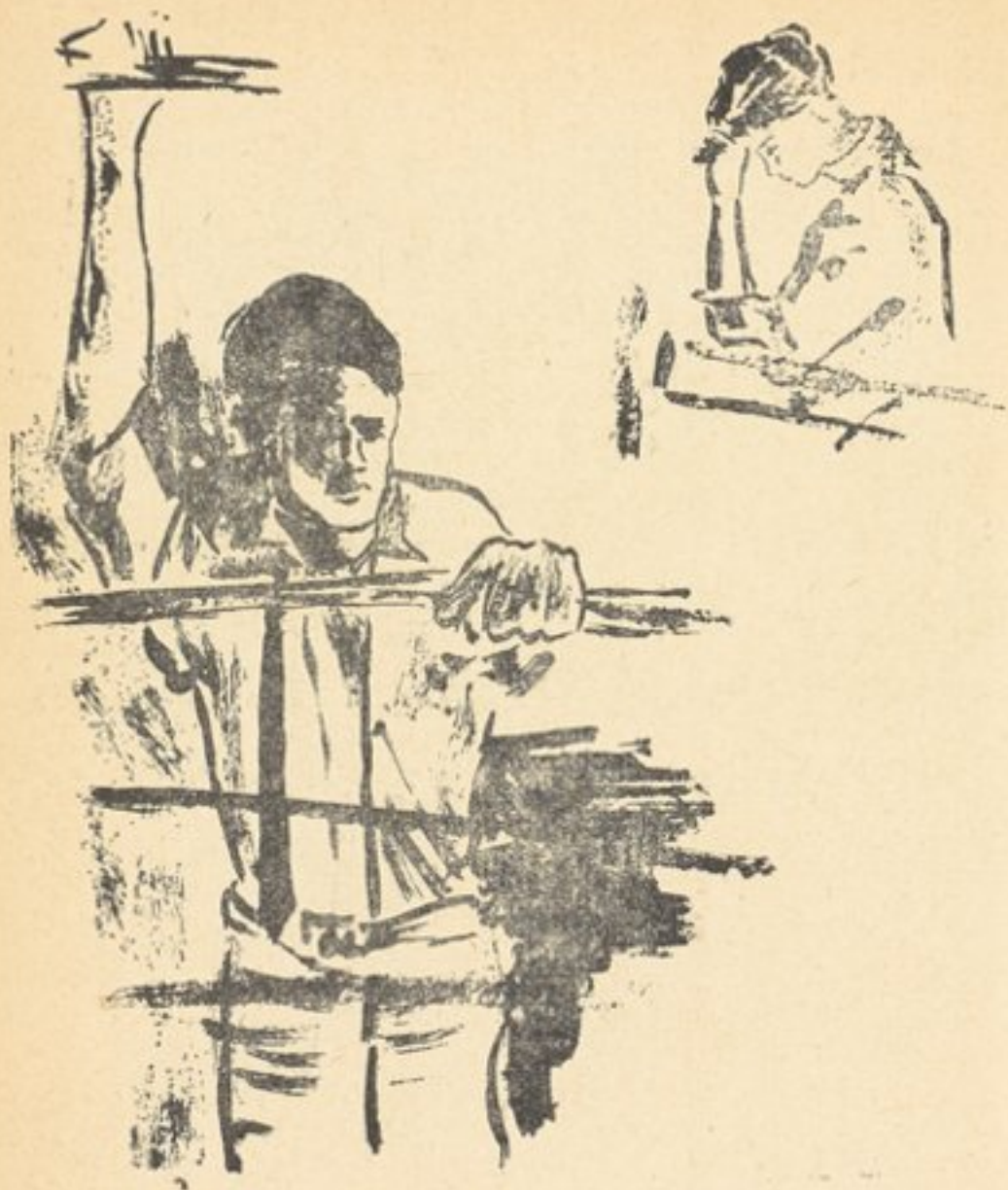
في اليوم الآخر ، عاد الي . .

عاد الي غرفتي . .

لم يرضني ابدا تصرفه هذا . . كنت خائفة . . اخاف لو ان احدا من
الناس يراه وهو يهم بتسلق الجدار الموصل الي الشرفة فتقوم القيامة في
المحلة . . اخاف لو ان الناس تعلم بقصتي معه . .

و . .

ما الذي تملكه الفتاة غير سمعتها في هذه الدنيا . .



وكيف سأستطيع ان اعيش وسط مجتمع همه ان يبحث عن الماضي
وينبش ترابه ليدين حتى الموت كل من يكتشف انه قد سار في غير الطريق
الطبيعي الذي قد رسمه له ..

حاولت ان اقول له هذا ..

بذلت المستحيل لكي افهمه بامرري الذي بات يقلقني لعله قد يعذرنني
فيبحث عن غير هذا الطريق الذي يراني به ..

لكني لم استطع ..

انا الأخرى كنت كاذبة مع نفسي .. كاذبة مع احاسيسي .. كاذبة ،
وبقدر ما كان هو يريد ان يراني في كل ساعة كنت آتمنى انا لو يأتي في
كل دقيقة ويعرض نفسه للمخاطرة ، ويعرضني للفضيحة .. والمهم ان يأتي
ولتطبق السماء على الارض من بعد ذلك ..

كان مجرد وجوده معي يمنحني القوة ، والثقة بالنفس ، والأمان
الدائم ، ويبعد عن نفسي الأشباح المخيفة التي تراودني في بعده عني ..
وكنت انسى نفسي وانا معه ..

انسى كل شيء اريد ان اقله له .. انسى الاساءة التي قد تلحقني من
وراء مغامراته ، وانسى كل مخاوفي .. تزول في لحظة كل المخاوف من
نفسي حين يكون معي ، فانسى كل شيء في الدنيا الا اللحظة التي انا فيها
ومعني صلاح ..

.. م

بمرور الأيام صرت انتظره وانا على احمر من النار .. اعدد الدقائق ،
دقيقة بعد دقيقة ان طال وقت مجيئه ، وادور في الغرفة كالمجنونة ابحث
في كل شق من شقوق جدرانها عن اي اثر له لعله قد يلهيني حتى عودته ،
واذهب الى الشرفة واطل من وراء بابها على الشارع ابحث فيه عنه وانا غير

آهة لمن يراقبني من الناس ..

ولم يعد يهمني ان يراه احدا من الناس وهو يتسلل الى غرفتي ..
وكنت اذا ما اقبل الليل اعد كل شيء في الغرفة لاستقبله به .. واقفل
باب غرفتي من الداخل بالمفتاح لأطمئن الى ان امي لن تستطيع ان تباغتنا
ونحن معا ، وارتب المقاعد ، كل مقعد اضعه في مكانه ، وانقل المنضدة
الصغيرة التي عليها المجلات والكتب قرب الأريكة الكبيرة التي كان يحب
دائماً ان يستلقي عليها ، واضع صحن الفواكه فوق منضدة اخرى ،
واضعها في الجانب الأيسر من الأريكة ، قريبة منه ، واضع لي مقعدا
بالقرب من الأريكة لا كون بجانبه ..
ويا آتي صلاح ..

ويختار نفس المكان الذي اعدته له ..

ويعضي بنا الوقت .. يعضي بسرعة ، ونتمنى معا لو تطول الدقائق ،
وتطول ، وتطول لنبقى معا كل عمرنا ..
ونقتل الوقت بشتى الطرق .. نثرثر ، ونأكل الفاكهة ، ونطالع في
الكتب والمجلات ، ويحدثني عن نفسه ، وعن حياته في الكلية ، وعن
آماله ومشاريعه الكثيرة بعد التخرج . واصغي اليه .. كل شيء في كان
ينصت اليه ..

وحي يزداد اليه في كل ساعة ..

وتلك الليلة ، كنت سارحة افكر .. وصلاح معي في الغرفة يقلب
احدى المجلات بعث صبياني من غير ان يقرأ شيئاً فيها ..
وانتابتني موجة من الخيالات .. وفكرت :

ما بعد هذا الحب الذي نعيشه انا وصلاح .. والى اين سيقودنا ..
وكنت حائرة .. لا اعرف بماذا افسر كل تلك الخيالات ..

اني اعرف ان الحب هو التقاء قلبين اقبالا من مكانين بعيدين ليتحدوا
معا بعد ان اتعبهما البحث الطويل عن الحياة ، وانهما استطاعا معا ان
يخلقوا دنيا جديدة لهما ليعيشا بقية العمر فيها . .

وبعد الحب تهب نسيات خفيفة من القلق سببها الخوف من ان يدبر
لها القدر احدي الاعيبه فيحطم في لحظة كل امانيهما في الحياة ، وقد يخنق
حبهما ويميته الى الأبد . . لذلك ، ليس امامهما غير ان يصارعا القدر حتى
يتغلبا عليه . . كيف . . كيف . . كيف . .
ماذا نفعل . .

كيف نتغلب على القدر . .

وانتبه صلاح على شرودي عنه ، فسد يده الى يدي يدعكهما بلين
فرفعت وجهي اليه ، كان يتسم بحب كبير ، وتمتم بحرارة وهو يتأملني
بوله :

.. مالك . .

قلت وانا اقترب من المكان الذي يجلس فيه وكأني اريد ان احتمي
به من القدر الذي ابتداءً يخيفني :

- صلاح ، ابي خائفة . . خائفة . .

- حتى وانا معك يا حبيبتي ! . .

- خائفة من الأيام يا صلاح . .

سحبني اليه برفق ، وانسلت انا مله الى شعري لتداعبه بحنان ، وتمتم :

- يالك من مجنونة . . انت تنسين دائماً ان حبنا العنيف هذا لا يعرف

معنى للخوف . .

- ابي خائفة من الحب . . خائفة ، افكر دائماً ، الى اين سيقودنا هذا

الحب . . اخاف ان افتح عيني في يوم ولا اجدك معي ، وقد اقتل

نفسى لو افقدك . .

- الله يحبنا ولن يفرقنا ابدا لأننا نمنح الدنيا الحب . .

نظرت اليه . .

كنت اريده ان يفهمني ان يفهمني اكثر . .

لكنه لم يفهم . . لم يستطع ان يفهم ماذا كنت اريد ان اقول له ، وقال

بهمس خافت وهو يطويني الى صدره ويدفن وجهه في شعري :

- انت لي . . لي حتى الموت ، ولن تستطيع قوة مهما تكن ان تأخذك

مني يا حبيبتي . .

واندفعت اليه . .

وتعلقت شفقتاي بين شفتيه وقتا طويلا . . كنت احس بالظما

يحرقني . . يعذبني ، وكنت اريد ان اروى عطشي . .

وعاد ليقول وانامله تضغط على شعري بقوة :

- حبيبتي . .

ثم سكت . .

تأخر الليل ولم يأت صلاح ..

وانتظرته ، والقلق يرسم على قلبي الف صورة مخيفة .. وغاوفي تجسد
لي الأشياء الصغيرة على انها اكبر من اني استطيع تقديرها .. ودقات الساعة
الصغيرة المعلقة في الغرفة تثيرني اكثر .. ويعلو صوتها ، ويعلو .. كأنها
تسخر مني وهي تذكرني بأني مازلت نفس تلك الانسانة الضعيفة في عالم
الأقوياء ، وان اية قوة مهما تكن ضئيلة قد تدمرني في لحظة لو شاء القدر ..
وقمت من مكاني الى الشرفة .

وبحثت بعيني في الشارع عنه ..

في كل لحظة اكاد احس انه في اللحظة المقبلة سيكون معي ، وانه
حتمًا في طريقه الي .. وانه .. وانه ..

ومضى الوقت ..

اوشك الليل ان ينتصف وهو لم يأت ..

واصابني اليأس ..

وانهالت الهواجس المثيرة لتغزو رأسي .. الف خاطرة راحت تلعب
بي وتتقاذفني بلا رحمة .. تماما ككرة صغيرة وقعت بين اقدام ثقيلة
لا ترحم ..

من بعيد ، من ابعاد ابعاد الدنيا استطعت ان اراه وهو يتجه مسرعا
باتجاه الجدار الذي اعتاد ان يتسلقه ليقوده الى غرفتي ، وكان خياله
الطويل يسبقه في شق قلب الارض ليهد له الطريق الذي يوصله الى . .
وعدت الى داخل غرفتي وقلبي يكاد يطير من اللهفة والشوق اليه ،
وخوفي اخذ بزح ببطء من نفسي . . واخذت اعد اللحظات على دخوله . .
في كل لحظة اشعر بانه يقترب اكثر واكثر مني . .

وهرعت اليه لأدفن كل نفسي الضائعة في بحر من المتاعب بين
احضانه ، وقلت له وانا احس بمنتهى الأمان وانا بين ذراعيه :
- تأخرت ، وابتدأت اخاف . .

طواني الى صدره ، ومد يده الى وجهي ليرفعه قليلا اليه ، فالتقت
نظراتنا معا في نقطة قريبة جدا . . وتمتم ونفسه تطير من الفرحة :
- ميادة . . يا حبيبي ، آه لوتدرين . . لقد انفتحت لنا ابواب السماء
منذ هذه اللحظة . . ميادة . . ميادة . .

كانت انفاسه مضطربة تماما . .

وكل شيء فيه مضطرب . . كل شيء ، وابتسامته الكبيرة ترسم على
شفتيه اكثر من سر . .

وانتظرتة حتى يهدأ قليلا ، وقلت له وانا ادفن رأسي في صدره الذي
تمذبه ضربات قلب عاش كل صمراه بين جدران سمكة لا يعرف معنى
الانطلاق :

- مالك ! . .

قال وهو يدور في الغرفة يبحث فيها عن الاشياء وكأنه يراها لأول

مرة :

- كيف تريني الآن ! . .

قلت وانا محتارة من امره ، لكنني سعيدة لفرحته :

- لا ادري . . انت اليوم غير صلاح الأمس . . ما الذي غيرك بهذه

السرعة . .

سحبني اليه . . سحبني من شعري اليه ، وغار بشفتيه على شفتي يقبلهما

بنهم وجوع شديدين ، وشدتني ذراعه بقوة اكثر ، وانفاسه عادت

لنتلاحق مسعورة في صدره ، وقلبه يخفق في جوارحه بكل ما عنده من

قوة ، وتمتم بخفوت :

- اصبحنا اغنياء يا حبيبي . . اصبحنا اغنياء واقوياء ، ولن تخيفنا

بعد اليوم اية قوة مهما تكن . . اصبحنا اقوياء ، ولن ننتظر بعد اليوم ان

يمنحنا القدر ما كنا نتمناه . . كلا ، بل سننتزع كل الاشياء التي نريدها

بالقوة التي معنا . .

لم افهم ايضا ، وسحبت نفسي ببطء منه ، وكل شيء يدور بغموض

من حولي . . كل الاشياء تدور في مدارها ، وانا كالبلهاء اقف امامه ،

واتطلع في وجهه . .

واستطرد وهو يتأملني بحنان كبير وقلبه يذوب من الحب بين

جوارحه :

- مات عمي . . مات ، وورثت عنه كل امواله . . ورثت كل شيء

كان له . .

قلت بحزن عميق كأنني اواسيه :

- كيف مات ..

- اللعنة عليه .. كان بخله يسبب لي متاعب كثيرة ، لكنني صبرت ..
كنت اعرف ان لهذا الصبر من نهاية .. كنت اعرف انه سيأتي اليوم
الذي تنتهي فيه حياته من على هذه الارض لتبدأ حياتي فيها ..
ومد يده الى جيب بنطلونه ، واخرج منه علبة من السيجائر ، فتحتها
بارتخاء وتناول منها واحدة وقدمها لي وهو يتسهم :

- سيجارة .. خدي لك واحدة ..

تطلعت فيه برهة وجيزة ..

ماله .. ما الذي اصابه ، وكيف تبدل بهذه السرعة .. هو يعرف اني
لا ادخن السيجائر ، وكان لشد ما يضايقه ان يجد علبة سيجائر في غرفتي ..
وقلت له وانا اتغاضى عن السيجارة التي في يده :

- لماذا تريد ان تدخن ..

ضحك بكل شهيته للضحك ، وقال :

- لا ادري .. لازلت اكره السيجائر ، لكنني فقط اضعها في جيبني
من اجل ان اقدم منها للأصدقاء ..

وعاد ليدور في الغرفة ويبحث في الاشياء وكأ انه يراها للمرة الاولى ،
ثم التفت صوب الساعة المعلقة على الجدار وتأملها بلا مبالاة ، وعاد
الي وقال :

- تعالي ننطلق من هذا المكان الى الدنيا ..

قلت وانا مازلت حائرة منه ، ومن تصرفاته الغريبة :

- الى اين ! ..

- فلنذهب الى اي مكان نجد فيه ما يريحنا .. مجرد ان نبتعد عن

هذه الغرفة التي تخنقنا ..

قلت بحيرة يمازجها القلق وانا لا ادري ماذا اقول ولا كيف اتصرف :

- في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل . . . !

قال وهو يلغني بذراعيه ويداعب شعري بانامله :

- الليل . . . الليل . . . تأكدي ان السهر لا يحلو الا بعد منتصف

الليل . . . لكننا نحن لم نجربه ، لذلك لا نعرف طعمه . . . وغيرنا ، كل الناس

لا يحلو لها السهر الا في الليل . . . في آخر الليل لأنه يبعث على الدفء ، وعلى

الحب . . .

قلت كأني اتوسل اليه ان يبتى معي في الغرفة ويعدل عن فكرة

الخروج في مثل هذا الوقت :

- لكن . . . كيف استطيع ان اخرج من البيت . . .

- تستطيعين . . . او كذلك انك تستطيعين لو اردت . . .

- انت نسيت ان امي معي في البيت . . .

قاطمني بلهفة وهو يمرر يده حول رقبتى ويسحبني قليلا اليه :

- لن تعرف . . . سنذهب ونعود من غير ان تعرف . . .

- لكن . . . ماذا اقول لها لو جاءت الى غرفتي ولم تجدني فيها . . .

صلاح . . .

قاطمني وهو يرفع وجهي اليه ويتطلع في عيني بشهوة طارمة :

- ميادة . . . يا حبيبتي ، طاوعيني . . . انت لا تعرفين كم اتمنى ان امنحك

السعادة والفرحة بعد ان منحت قلبي كل هذا الحب الذي رفعتني من

عالمي الصغير ليضعني في عالم اوسع من ان احتمل العيش فيه بمفردي . . .

اني احبك يا ميادة . . . احبك . . . الا تفهمين . . .

- صلاح ، ابي خائفة . . .

- الا يهمك ان تسعديني ولو مرة واحدة في العمر . . .

- يهمني .. وانت تعرف ، اني لا يهمني من الدنيا كلها الا سعادتك ..
- وتتمنين ان نبقى معا كل العمر .
- كل العمر ..

- اذن ، سنذهب ، وسنطوف من حول الدنيا كلها بسيارتي ..
سنذهب الى اي مكان .. الى كل مكان نرتاح اليه ..
وقرب شفتيه ببطء من وجهي المرفوع اليه ، وكانت احدي يديه
تسحبني قليلا قليلا من مكاني لتقربني منه اكثر ، ولتفتني يده الأخرى
برفق الى صدره ..

وقبلني بحرارة .. بقوة .. بجنون ..
وتعلقت شفطاي بشفتيه بكل قوة لا تريد ان تنفك عنهما ابد الدهر ..
وتم لي من بين شفتيه المضطربتين :
- آه لو تعرفين كم احبك يا حبيبتي ..
تمتت بارتحاء ونفسي تذوب النار التي تحرقني :
- قبلني .. فقط قبلني ..

وقال وهو يسحب شفتيه بكسل من بين شفتي وانفاسه تتمزق في
صدره من التعب :

- فلنذهب ..
قلت وانا اوافقه بسرعه ضاربة كل شيء قد يعترض طريقي عرض
الدنيا :

- نذهب مادمت تصر ..
.. و

لم ينتظر ، اطلقاً النور في الغرفة ، وسحبني من يدي ليقودني معه الى
الشرفة .. وتحسست طريقي في الظلام وقلبي يرتعب من الخوف ..

الخوف من المغامرة ..

وقلت له وانا انظر من الشرفة الى الشارع المظلم وكأني اراه لأول مرة ، وارى عمق المسافة التي تفصله عن شرفة غرفتي :

- صلاح ، لن استطيع ان انزل من هنا . سأقع حتما ..

قال وهو يضغط على يدي قليلا ليشجعني على خوض التجربة القاسية معه :

- لا تخافي .. فقط دعيني انزل قبلك ، ثم انزلي انت من بعدي على نفس الطريق الذي سأسلكه ..

- ابي خائفة ، يا الهي .. خائفة ..

- وانت معي لا يجب ان تفكري بالخوف ابدا ..

- لكن ، ماذا لو يرانا الحارس .. ماذا سنقول له لو رأنا ..

- فكري بكل شيء في حينه ..

سكت ، ولم اجادله ..

ادركت ان مجادلتي له لن تثمر بنتيجة ..

و ..

استطعت ان انزل معه الى الشارع من كل هذا العلو بسهولة لم اصدقها انا نفسي .. ولا ادري كيف حدث ذلك .. لا ادري ، لعل خوفا من ان يراني الناس والحارس الليلي قد قتل في نفسي الخوف من السقوط فاستطعت ان احمل جسدي على النزول به الى الشارع ..

وكانت سيارة صلاح تقف في مكان يبعد قليلا عن بيتي ..

وصعدت معه الى سيارته ..

وقلت له وانا التقط انفاسي الخائفة ونظراتي تتيه في كل صوب من

الشارع تبحث فيه عن اي اثر للناس :

- أني خائفة .. خائفة يا صلاح ، فإذا افعل ..
ضحك بصوت خافت وهو يضغط بقوة على مستودع البنزين والسيارة
تنطلق بنا بكل جنونها لتمزق وجه الارض في لحظات :

- انت معي ..

- خائفة لأني معك

- من الناس ! ..

- اجل ..

- اللعنة عليهم كلهم .. انت معي يا حبيبتي ..

وغمرتنا برهة من السكون المخيف ، وعاد ليقول لي وهو يتلفت في
انشارع ليبحث فيه عن طريقه :

- فلنذهب الى الأمباسي .. مارأيك ..

ارتعدت اوصالي كلها من الخوف .. وقلت له بتوسل شديد وانا

اتطلع فيه وأتمنى لو يقدر موقفي :

- كلا .. صلاح ، لا أستطيع ..

- لكن لماذا يا حبيبتي ! ..

- الناس يا صلاح .. أني لا أستطيع ان اجلس في مكان ما بين الناس

في مثل هذه الساعة من الليل ..

- لكن يا حبيبتي ..

قاطعته ونفسي تذوب في الخوف مما يريد ان يقوم به :

- لو يراني الناس وانا معك فماذا سيقولون عني .. صلاح ، حاول

ان تفهمني ارجوك ..

قال بتذمر وكأنه يأسف على دعوته لي :

- أني آسف .. اين تريد ان نذهب ..

قلت بانكسار وانا حزينه لحزنه :

- نبقى في السيارة ..

- و ..

- الا يعجبك ان نبقى في السيارة معا ..

قال وهو يبطني قليلا من سرعة السيارة :

- كلا .. لكن ، مادمت ترغبين في هذا فاني لا استطيع ان اخالف

امرك ..

- هل غضبت ..

- كلا ..

- صلاح ..

رفع وجهه الي ، وبقيت نظراته معلقة في الشارع ، وقال بلا رغبة

منه الى الكلام :

- افتدم ..

- يجب ان تقدر موقفي يا صلاح ، وتعذرني ..

- معك حق .. اني آسف ..

وسكت ..

كان يفكر ..

وسكت انا الاخرى ..

كنت اتأمل الدنيا من خلال نافذة السيارة وهي تسير بنا ..

هذه الدنيا الكبيرة ، الواسعة .. ترى ، ماهو نصيبي فيها ..



كم مضت من الايام الطويلة علي وانا واقفة في الشرفة انتظر مجيئه
الي .. وكم من الايام القاسية مرت علي وانا اکتوي بالنار التي لا ترحم
وقلبي تمزقه الأحزان الثقيلة ..

في كل مرة .. في كل ليلة اقف في الشرفة لأنتظره ، وتمضي الساعات ..
ساعة تطوي الساعة التي قبلها ، وينشق الليل عن فجر جديد ، ثم يصيبني
اليأس من مجيئه فاعود الى غرفتي لأدفن دموعي في الوسادة .. واتعب ..
يتعب كل شيء في من الانتظار ..

وانتابتني هواجس شتى ..

لماذا لم يأت كل هذه الأيام ..

اريد ان اعرف لماذا .. اريد ان اعرف ..

اني لا استطيع ان ابقى هكذا وانا في مكاني تنخر الهواجس في
قلبي ، وتقتلني هذه الحفنة من الافكار السوداء التي تصور لعقلي وقلبي
الاشياء الصغيرة على انها اكبر من ان تخيلها ..

لم استطع ان احتمل اكثر ..

احتملت ما فيه الكفاية ..

ثم انفجرت ..

وجنت ..

كل شيء في يحن من حولي ليحيل الدنيا الى قطعة من نار ترقص فوقها
ظنوني الخيفة لتدمرني ..

وقررت ان اذهب اليه بعد ان يأس من مجيئه الي ..

اين استطيع ان اراه ! ..

لم يطل بي التفكير ، وذهبت الى الكلية التي يدرس فيها ، وسألت
بعض الطلبة عنه ، فقالوا لي انه قد ترك الكلية منذ ايام ، واعطاني احدهم
عنوان الشقة التي يسكن فيها ..

وذهبت اليه في شقته وقلبي يكاد ينخلع من مكانه مع كل خطوة
القيها لتقربني من المكان الذي يسكن فيه ، وانفاسي تلهث من الخوف ،
واحاول ان احبسها في صدري .. ووجهي ممتقع ، واخاف ان يراني احد
الذين يعرفوني من الناس وانا اعم بدخول شقة رجل غريب .. واعصابي
خائرة ، واحاول ان اذيبها في رأسي قليلا لتبتعد حتى استطيع ان
اسيطر عليها ..

.. و

صعدت الى الشقة ..

ووقفت امام باب الشقة .. ووقفت فترة طويلة من الوقت وانا
متردد .. حائرة ، خائفة ، جبانة ، ذليلة ، تافهة ، احساسني بصور لي نفسي
على انها قد جبلت من كل الرذائل في وقت واحد ..

وفكرت ان اعود من حيث اقبلت ..

انا افعل هذا .. ! انا ، كيف يمكن ان يحدث هذا يا الهي .. ! كيف

افكر ان اذهب الى شقة رجل اعزب ، وماذا سيقوله الناس عني ! ..

لم يطل بي التردد الا قليلا ، ودفعني الرغبة الملحة الى ان امس يدي

وهي ترتعد الى جرس الباب لأضغطه بكل اعصابي المنهارة ..

.. و

فتح الباب ..

فتحه لي صلاح بنفسه ..

ورآني ..

وبوغت .. كأنه كان يتوقع ان يكون اي واحد من الناس الا انا ،

وارتد الى الورا قليلا وكل شيء فيه يخور مرة واحدة في داخله ،

ووقف يتأملني وانفاسه تتصاعد الى صدره ، وعيناه تدوران في محجريهما

بسرعة ، ثم تتم بعد ان اشتد الصمت من حولنا بعض الوقت :

- ميادة ! ..

دخلت الشقة ، ولم اقل شيئا ..

وتبعني الى الداخل بخطوات مترددة ، بعد ان اغلق الباب ..

والتفت اليه ، فعاجلني وهو يرمقني بنظرة أسف عميقة :

- كيف عرفت مكاني ..

قلت وانا ارمق قطع الاثاث الفخمة التي اشتراها حديثا ليزين

بها شقته :

- ذهبت الى الكلية ولم اجدك ..

قال بلا مبالاة وهو يولع له سيجارة :

- اجل ، لم اذهب اليها منذ ايام ..

قلت بحزن عميق :

- وقالوا لي انك قد تركت الكلية ..

- كلا . . لم اتركها بالمعنى الصحيح ، لكنني افكر بتركها ..

ابتعدت عنه قليلا ، وصحت بتوسل فيه وكل اوصالي تتقطع من اجله :

- كلا .. صلاح ، لن تترك الكلية .. ارجوك ..

قال وهو يتفحصني بغرابة :

- ميادة ، اني كما ترين قد اصبحت امتلك ثروة كبيرة ، وعلي تقع
مسؤولية حماية هذه الثروة ..

قاطعته وانا احس بانه قد اخذ يبتعد ببطء عني من طريقته في
الكلام معي :

- لكن ، مادخل الكلية في ثروتك يا صلاح ! ..

قاطعني وكأنه يحاول ان يفهمني اشياء لا استطيع مع ان اتوصل
الى فهمها :

- بصراحة .. اني لا استطيع ان اوفق ما بين الدراسة وادارة اعمال
الجديدة ..

- تستطيع .. تستطيع ، واني واثقة انك تستطيع ، لكنك انت ..
لا ادري ما الذي غيرك هكذا ..

صاح كأنه قد غضب :

- اني لم اتغير .. تأكدي ، اني لم اتغير بالرغم من كل هذه المظاهر
التي ترينها ..

سكت ، ولم اقل اي شيء ، فعاد ليقول وهو يقترب قليلا مني :

- ميادة ، يا حبيبتي .. اعذريني ، اني احبك .. احبك .. لكن
هناك اشياء كثيرة تدوخني هذه الأيام فتجعلني انسى نفسي والدنيا ..

لم اجبه ايضا ، واستطرد وهو يمد يده الى وجهي ليرفعه اليه ويتطلع
في عيني لحظات طويلة :

- منذ ان عرفتك وانا احلم لو اني استطيع ان اخلق من تلك
الاحلام التي كانت تراودني معجزة صغيرة تجمعنا معا الى الابد وكانت

احلامي تلك ابعده من الخيال الى نفسي .. كانت بعيدة .. لذلك ، كنت
دأماً اثور على الدنيا والعنفا ..

كنت اتطلع فيه ببلاهة ..

كنت حائرة تماماً من امره .. كل كلمة من كلماته كانت تبدو لي
غريبة .. كل كلمة ، كأني اقف امام صنم لأخدع نفسي بوجود
الحياة فيه ..

وواصل وهو يداعب شعري بلين :

- هل تعرفين ماذا تعني هذه الثروة بالنسبة لي .. هل تعرفين ماذا
تعني بالنسبة لك ..

لم اجبه ، وبقيت عيني في عينيه ، واستطرد :

- هذه الثروة تعني اننا سنستطيع ان نحقق الحلم الكبير الذي كنت
احلم ان احققه في يوم من الأيام .. هذه الثروة هي القوة التي ستسندنا
وتبقينا اقوى من القدر ونحن نلاطم تياره الجارف ..

كالجنونة ، اقف لأتطلع فيه وانا لا ادري ماذا يقول ، ولا ماذا يريد
ان يقول ..

وواصل بحرارة :

- سنزوج يا حبيبي .. سنزوج لنعيش كل عمرنا معا ..

اعادتني حكاية الزواج هذه اليه من عالمي الذي تمزقه الف حيرة ..

الزواج ! .. الزواج ! .. الزواج ! ..

الشيء الذي كنت ابحت عنه منذ ان اصبحت باليأس منه .. الحلم الذي
كنت احلمه منذ صغري وانا انتظر اليوم الذي سيقبل فيه فارس الأحلام
ممتطياً صهوة جواده لينتزعني من مكاني الذي اعيش فيه ويأخذني معه
الى الجنة حيث نعيش كل عمرنا لا نفكر بالدنيا ولا باهلها .. طعما لنا الحب

وشرابنا قبلات شهية نتبادلها كلما احسنا بالعطش لتعيننا على الحياة . .

احلام الطفولة توشك ان تتحقق . .

وفارس احلامي هو صلاح . .

احسست في لحظة ان كل همومي تزول مرة واحدة ، وبتلك الهواجس
الثقيلة تنزاح من على كاهلي ، وبالخوف ينفذ من نفسي المشبعة به ليتسرب
الى خارج كياني ، وبأني قد عدت قوية كما انا . .

وقلت له وانا اتملق به ونفسي تذوب بين ذراعيه :

- صلاح . .

- يا حبيبي . . هل توافقين . .

- صلاح . . اني لا اصدق . . اني سعيدة يا صلاح . . سعيدة ،

وفرحتي اكبر من ان تسعني . .

قربني اليه ، فنام رأسي على صدره بمنتهى الأمان ، ومد يده الي

يتحسس بها شعري ويداعبه ، فرفعت وجهي اليه . .

وقرب وجهي اليه قليلا . . سحبه الي وجهه ، وشفته تترعدان من

اللهفة والشوق الي ، واغار بهما على شفتي يمتصهما بنهم وجوع شديدين . .

وهمست له من بين انفاسي الحارة وهي تذوب في صدري :

- صلاح . . كم تحبني يا صلاح . .

قال وهو يكم انفاسي بقبلاته العنيفة كأنه في معركة ويريد ان

ينتصر فيها :

- اكثر من الدنيا كلها . .

- صلاح . .

- اسكتي . . اسكتي . .

ومد يده الي ثوبي . .

احسست بانامله ترتعد وهي تفك ازرار الثوب . . . وحاولت ان
امانع . . . اردت ان اسحب نفسي منه قليلا . . . اردت ان ادفعه
قليلا عني . . .

اردت . . . اردت . . .

لكنني كنت قد اصبحت ضعيفة . . .

اضعف من ان افعل اي شيء . . .

وكنت راضية . . .

ومد يده الى داخل الثوب . . . الى صدري . . .

. . . و . . .

لا ادري ماذا حدث بعد ذلك .

وعرفت الطريق الى شقته . .
اصبحت اذهب اليه في كل يوم . . واحيانا ، كنت اذهب اليه في
الصباح ، ثم اعود اليه في المساء . .
وكان يأخذ مني كل شيء يريد . .
يأخذه ، كأنه من حقه علي ان اعطيه كل شيء في . .
ولم يعد يأتي الي في غرفتي . . اصبحت انا اذهب اليه كلما ارادني ان
اكون معه ، وبمجرد ان يرفع سماعة تلفونه ويطلبني ، كنت بعد قليل
عنده في الشقة . .

و

هل كنت راضية عن نفسي وانا اسلمه جسدي يعبت به كلما حن الي
العبث به . . هل كنت مقتنعة ان الشيء الذي افعله يرضي ضميري كألسانة
لها كرامة الفتاة واعزازها بانوثتها . . هل كنت مقتنعة . . هل كنت . .
لا ادري . .

لكني حتما كنت خائفة من نفسي وانا انقاد معه الى الهاوية التي
ترهبني ، وخوفي يشتد ويتضخم مع مرور الأيام التي قد تكشف للقدر
عن السر الذي اخفيه عن الدنيا في كيان الممزق . .



كنت اجلس معه وانا حزينة . . حزينة ، وساهمة . . افكاري القلقة
شاردة عني تبحث في الظلام الذي القيتها فيه عن المنفذ الذي استطيع منه
ان اتخلص من حيرتي المدمرة . . وكنت انظر اليه لا كما كنت انظر اليه
من قبل . . اصبحت نظراتي اليه ذليلة ، تحمل طابع التوسل
والاستجداء ، نظرات ليس فيها اي احترام لنفسي ولا اعزاز لكرامتي . .
وكأني كلبة تجلس تحت اقدام سيدها منتظرة منه ان يعطف عليها فيناو لها
ما تبقى في يده من عظم لتسد به جوعها . .

.. و

لم يعد يكلمني صلاح عن الزواج . .
اصبحت حكاياتنا تافهة ، مكرورة ، ثقيلة ، لا اثر فيها لحياتنا
المشتركة . . لا اثر فيها لحبنا . .
اصبحنا لا نتكلم الا قليلا . . ولا نتكلم الا اذا احتجنا الى ان
نقول شيئا . .

.. ثم

اصبحت لا اراه دائما . .
اخذ يتهرب مني كلما اردت ان آتي اليه ، او ان يخلق الاعذار الواهية
فينهي لقاءنا بسرعة ، او يدخل غرفته مستأذنا ليكمل اعماله الكثيرة
التي يخلقها حين اكون معه ويتركني جالسة في مكاني حتى يصيبني الملل
فاعود الى بيتي . .

ابتدأت اشعر بكل هذه الأمور . . وادركت بانه لم يعد يريدني بعد
ان اخذ مني كل شيء وتركني لا شيء . .

ولم اكرهه . .

كنت احبه . .

وهذا هو سبب جنوني ..
وانتابني خاطرة مجنونة ذات يوم ..
هل يجب صلاح واحدة غيري ..
ربما ..

ربما كانت هناك واحدة غيري قد اهته عني .. ربما استطاعت واحدة
غيري من النساء ان تستولي على قلبه في لحظة غفلت فيها عنه فاخذ يبتعد عني
ليتفرغ لها .. ربما كانت الفتاة الأخرى تحبه وتريده لها وحدها فاضطر
ان يبتعد عني لئلا يخسرها .. ربما ..

من هي هذه الفتاة التي تجسر على اختطاف صلاح مني بعد ان لم يبق
في ما يشجع اي رجل على قبولي .. من تكون .. ما هو شكها .. كم هو
طولها .. كيف هي عينيها .. ماذا ترتدي من الفساتين .. ماذا تضع من
المطور .. كيف تسير .. كيف تقبل .. الى اي مدى يحبها صلاح ..
الى اي حد ..

يا الهي ..

ماذا سأفعل حينئذ ! ..

هذه الفتاة لو وجدت حقا فوق وجه هذه الارض فيجب ان لا اتسامح
معها .. يجب ان اعرف كيف امزقها .. وكيف احطمها ، كما مزقت قلبي
وحطمته .. وقد اقتلها لو اضطرني الأمر الى ذلك ..

لسكن متى يراها .. واين .. اين يلتقي بها ! ..

وهاجت علي ظنوني ..

وابتدأت احسب للفتاة الأخرى التي تريد ان تأخذ صلاح مني الف
حساب .. ابتدأت اتخيلها واقفة امامي ، واخذت اضع الخطط في رأسي
لتدميرها .. وابتدأت استعد للمعركة ..

معركة الحياة او الموت ..

قد يلتقي بها في الليل ..

اجل ، الليل .. ليس له غير الليل ليراها فيه ، اما خلال ساعات النهار
فاني معه في اية ساعة منه ، وهو حتما يخشى ان يجتمع بها في وضوح النهار
لثلا افاجئها معا فيحدث ما يحدث وتفسد كل خطته ..

وقد يلتقي بها في شقته ..

واخذت اراقبه ..

اراقب شقته .. ولم يعد يهمني الناس ولا كلامهم الذي لا يرحم .. لم
يعد يهمني ان يراني كان من كان وانا اتلصص في الليل حول البناية التي
يسكن صلاح احدي الشقق فيها .. لم يعد يهمني ..

حتى امي ، اصبحت لا اهتم لها ، ولا اكثرث لأسئلتها الكثيرة كلما
اردت ان اخرج من البيت في الليل .. في بادئ الامر كنت اختلق لها
الأسباب التي كانت تقنعها ، ثم .. لم تعد تقنع ، واصبحت تشك في امري
كلما اردت ان اخرج ، لكنها كانت تحاول ان تجعلني احس بانها تصدقني
بالرغم من كذبي عليها ..

كانت لا تريد ان تفاجئني بالأمر لثلا اخرج عن طاعتها ..

وكانت تعرف ان في الأمر اشياء كثيرة وكبيرة تخضني .. كانت
تعرف ، لكنها كانت من الطرف الآخر تحاول ان تتغاضى عني دائما لثلا
تكون النتيجة اشد وطأة مما هي ..

وكانت تتألم ..

كنت اراها حزينة دائما ، كئيبة ، لاتدري كيف تتصرف معي ..
لاتدري ماذا تفعل لتوقف التيار العنيف الذي يجرفني امام عينيها ليسحبني
الى الهاوية ..

تلك الليلة ، عرفت فيها اشياء كثيرة لم اكن اعرفها من قبل في صلاح .. وربما ، من تلك الليلة بالذات اخذت متاعي مع صلاح تتخذ شكلها الاخير وهي تصطدم بالدينا الجديدة التي تفتحت في وجه صلاح بعد ان ورث عن عمه امواله ..

وكنت احوم حول البناية حين لمحت سيارة صلاح تقف ويترجل منها ، وكان معه شخص آخر ، ثم اقبلت سيارة اخرى ووقفت خلف سيارته وترجل منها ثلاثة رجال وامرأة واحدة ..

وصعدوا كلهم الى الشقة ..

وطعنني الهواجس في القلب ..

احسست ، ربما لأول مرة في حياتي ان صلاح قد طعنني في كبريائي وكرامتي الطعنة الأخيرة القاتلة التي لا ترحم ، وشعرت بان كل شيء بيننا يرسم لنا طريق النهاية الأبدية ..

ووقفت في مكاني والدموع تنزف من عيني ، وقلبي يتفطر من الألم ، ونفسي تمزقها الف ثورة فاشلة ، واعصابي منهكة ، واحاول ان اتجملد بالصبر .. ان اصبر حتى ارى خاتمة الحكاية ، لكنني لم استطع ..

وكل شيء في يثور بعنف ..

.. ثم

لم استطع ان انتظر في الشارع اكثر .. لم استطع ، كنت اريد ان استعجل نهاية هذه المهزلة الكبيرة التي تمثل امام عيني .. لم استطع ان ابقي في عرض الشارع والهواجس تنخر في قلبي لتذيبه حتى الموت ..

وصعدت الى الشقة ..

ماذا يفعلون في داخل الشقة ! ..

وضغطت على جرس الباب ، ثم وقفت في مكاني بانتظار ان يفتح لي

احدهم الباب ..

.. ثم

فتح الباب ..

فتحت لي المرأة ..

وكدت ان اقع على الارض من فرط ما اصابني من الذعر والتقرز وانا

ارى المرأة مائلة امامي وهي نصف نخمورة والسيجارة ترتعد بين شفطتها

كأنها تسخرمني ..

وتمالكت نفسي قليلا ، و اردت ان ادخل ، لكنها لم تعطني المجال ،

واعترضت طريقي بكل وقاحة ، وقالت وهي تترنح امامي في مكانها

وكأنها هي صاحبة الأمر في هذا المكان ومن حقها ان تعرف من اكون

وماذا اريد :

- ماذا تريدون ! ..

قلت بنفور وانا اضغط على اعصابي لثلاث تنفجر في اية لحظة :

- اين سلاح ..

ضحكت باستهزاء ، ضحكة ماجنة جدا ، وقالت :

- من اقول له ! ..

- لا شأن لك .. فقط اريد ان اراه ..

ارادت ان ترد فازحتها من طريقي ، ودخلت مسرعة الى الداخل قبل

ان تطبق الباب في وجهي ..

ورأيتهم امامي ..

كانوا ، الرجال الاربعة ملتفين حول مائدة كبيرة ، ومعهم سلاح ،

وحول المائدة قد تبعثت اقداح الخمر ، وبعض الصحون الصغيرة وقد وضعت

فيها المزز ، وعلى الارض زجاجات كثيرة من العرق والويسكي والبيرة وهي
فارغة ، واعقاب السيجائر تغطي كل مكان من الصالون . .
وكانوا يلعبون . . واصوات ضحكاتهم تغرق الغرفة وتنفذ الى
الخارج ، ورائحة الدخان المنتشر في كل مكان تخنق الانفاس . .
ووقفوا جميعهم مذهولين لدخولي المفاجيء عليهم . .
وبقيت واقفة في مكاني انظر اليهم والحيرة تعصف بقلبي . .
وهب صلاح من مكانه . . كان يريد ان يسدو لهم ولي انه في حالة
طبيعية جدا ، فاقرب مني وفوق شفتيه ترقد ابتسامة ذابلة شجيحة كأنه
يأسف على مجيء في غير الوقت الذي اعتدت ان اكون فيه معه ، ومد لي
يده ليسحبني قليلا اليه ، لكنني ابتعدت خطوة عنه فانفلتت يده لتعود الى
مكانها ، وقال ببرود وكل شيء فيه يتحول بسرعة الى موجة من
الاضطراب :

- الأنسة ميادة . . خطيبي . .

والتفت اليهم ، وابتسم . .

كانت مفاجئة لهم جميعا . .

وكانت مفاجئة لي ايضا . .

وفي لحظة ، في اقل من لحظة تكومت موجة الحقد والثورة التي كانت
تقتلني لتذوب مع الغفران في صدري ، ونسيت كل شيء جئت من
اجله . . نسيت كل شيء . . نسيت حتى اوجاعي واحزاني ، ونسيت المرأة
الاخري التي تقف بالقرب من صلاح وهي تنظر الي بغير احترام ، ونسيت
هؤلاء الرجال الغرباء الذين يعبثون في شقه صلاح ويدمرون له مستقبله . .
نسيت . . نسيت . .

الا شيئا واحدا بقي يدغدغ مشاعري وعواظني . . شيئا واحدا ، هو

اني خطيبة صلاح . . خطيبته امام كل هؤلاء الرجال ، وامام هذه المرأة . .
وصلاح لم يخدعني اذن كما كانت خيالاتي الرهيبة تصوره لي . . صلاح
لا يزال يحبني ، ويحترمني ، ويريدني . . لكن ، قد تكون هنالك بعض
الظروف التي تحتم عليه ان يتصرف بتهور وجنون احيانا . . انه كالطفل
الصغير يريد دائماً ان يعبت . . ان يعبت بكل شيء يصادف طريقه ، ومن
الخطأ جداً ان اردعه او ابين له الحالة الخطيرة التي يتجه اليها . . لا ابدا . .
هذه ليست طريقة للأصلاح . . الطريقة التي يصلح بها امثال صلاح هي
ان يترك كما هو حتى يحس بالشقاء الذي سببه له طيشه فيعود الى الطريق
الذي انفصل عنه بعد ان تدمره الاخطاء . .

ولا ادري كيف ارتسمت ابتسامة صغيرة فوق شفتي لأستقبل بها
اصدقاء خطيبي ، وبقيت واقفة في مكاني لا ادري كيف ارحب بهم ، ولا
ماذا اقول لهم . . وانقذني صلاح في لحظات ارتباكنا كي فاشار لي الى احد
المقاعد لأجلس ، وتتم لي بحب كبير :

- تفضلي يا حبيبتي . . اجلسي وراقبينا ونحن نلعب . .

جلست في المكان الذي اشار لي اليه صلاح . .

وعادوا الى لعبهم . .

وعادت المرأة الى مكانها بينهم لتشاركهم اللعب . .

ومضى الوقت بطيئاً . . مضت كل دقيقة وكأنها ساعة . .

وانتهت الساعات الطويلة . .

وقاموا لينصرفوا ، ودعوني وكل واحد منهم يأخذ يدي في يده

ويبتسم ، وقالت لي المرأة وهي تودعني وابتسامتها الكبيرة تطفو فوق

شفتيها المرتعدين :

- فرصة سعيدة يا آنسة . .

وخرجوا ..
وتركونا معا في الشقة .. انا وصلاح ..
وذهب صلاح ليغسل وجهه ، ثم عاد الي .. كان حزينا ، وقال وهو
يمرر يده فوق جبينه بعصبية :

- هذه الليلة كانت من اتعس الليالي ..

قلت وانا ارمقه بنظرة حزن صميقة :

- هل خسرت كثيرا ..

قال بلا مبالة وهو يولع له سيجارة :

- الف دينار ..

صحت بلا وعي مني وكل اعصابي ترتعد بجنون :

- كم ! ..

- الف دينار ، لكنني سأحاول ان استرد ما خسرت في الغد ..

اندفعت نحوه وقلبي تمزقه الأحزان الشديدة ، ورأسي تطعنه الف

فكرة خاطرة لا تجد لها فيه غير الظلال :

- صلاح .. لاتلعب بعد اليوم .. ارجوك ..

قال كأنه يسخر من نصيحتي التي جاءت في وقت متأخر جدا :

- لكنني لا يجب ان اهزم .. ويجب ان اكسب قليلا لأستطيع ان

اعوض عن خسارة هذه الليلة ..

- لكنك قد تخسر ..

قاطعني بلا مبالة :

- ربما .. واللعب يا حبيبتي اشبه بالمعركة ، يدخلها المحارب وايمانه

بالنصر معه ، ويحاول ان يكسب المعركة .. ليس هناك من لا يريد ان

يكسب ، لكن .. من المحتمل ايضا ان يخسر .. والمهم ليس ان يصاب

الانسان باليأس ..

قاطعته والعذاب يحيل كل شيء في الى الدمار :

- صلاح .. حاول ان تفهمني .. حاول يا حبيبي ..

قال بمرارة وهو يشيح بوجهه عني :

- اني افهمك يا حبيبيتي .. واعذك بشر في ان لا اعود الى اللعب ،

لكن بعد ان استرد ما خسرتة من هؤلاء الأقرام ..

- صلاح .. انت لا تريد ان تستمع الي يا صلاح ..

قال بتذمر وهو يرمي بعقب سيجارته على الارض ويتنفس بضيق :

- ميادة .. سنتكلم في هذا غدا .. وارحميني الآن ، ارجوك ..

- اني اتعذب من اجلك يا صلاح واشعر بروحي تحتضر كلما اراك

وانت تتألم ..

تمم وهو يطويني بين ذراعيه ويقبلني ببرود في شمري :

- تعالي لأعيدك الى بيتك ..

لم ارد ، وقت لأسير امامه نحو باب الشقة ..

وخلال الطريق الطويل ما بين شقته وبيتي لم احاول ان اقول له اي

شيء .. كنت واجمة افكر باشياء كثيرة لا ادري اين ستقودني نهايتها ..

ابتدأت اشعر بأحاسيسي ان كل يوم يمر علينا انا وصلاح يجعلنا
نبتعد عن بعض اكثر من اليوم الذي قبله ، وكل لقاء لنا يجعل الهوة
تتسع بيننا اكثر مما كانت عليه من قبل ..

وكثرت خلافاتنا ..

اصبحنا نختلف على اتفه الأشياء ..

وكنت دائماً ، من طرفي ، احاول ان اقترب منه .. ويحاول هو ، من

طرفه ، ان يبتعد عني .. ويزداد بعده يوماً بعد آخر ..

وكنت خائفة ..

خائفة ان يأتي اليوم الذي نفترق فيه عن بعض وتنتهي حكايتنا اللذيذة
من الدنيا كما انتهت غيرها من الحكايات ..

.. و

في تلك الأيام القليلة الأخرى التي مرت ، مرضت امي ولازمت الفراش ..

كان مرضها لا يدعو على الخوف .. مجرد انحلال في جسدها ، ونصحها

الطبيب ان تبقى في الفراش بضعة ايام حتى تخف ..

لكنها لم تخف ..

وازدادت حالتها خطورة ..

.. و

ماتت . .

ماتت ، واصبحت كالمجنونة . . اتنقل من مكان الى مكان في البيت
الموحش الكبير ابحث في كل شيء فيه عن الآثار التي خلفتها فيه اعز
انسانة كانت لي في الحياة . .

وكنت ابكي بمرارة . .

لم تكن لي غير الدموع التي استطيع بها ان اخفف عن نفسي الموجهة
بعض ما يكتنفها من الأحزان . .
وطيفها لا يفارقني . .

دائماً ، في كل لحظة اراها ماثلة بوجهها الصبوح امامي وهي تبتمس لي
من قلبها ، كما كانت تفعل حين كانت تعيش معي ، كأن ابتسامتها تلك
نفحة من امل تهبني اياها من عالمها البعيد لعلها قد تعينني على مواصلة
الطريق في الحياة . .

في بادئ الأمر كنت ارغب في تخيل صورتها لأعيش معها في الخيال
بعض اللحظات اناجيتها من البعد الشاسع الذي يفصل ما بينها وبينني . .
ثم . .

اصبحت صورتها ملاصقة لي في كل حين . .

اصبحت لا تفارقني . .

واخذت اخاف منها . . ومن صورتها . .

ابتدأ خيالها يخيفني . . يرهبني ، ويشير في نفسي المزيد من القلق

والتشاؤم من الدنيا . .

واخذت اتهرب منها . . من صورتها التي تملأ كل مكان من البيت . .

كنت اتخيلها وهي نائرة في وجهي تعاتبني على ما ارتكبته من الأخطاء ،

واتخيلها وهي تصفمني وتركلني بالاقدام ثم تجرني من شعري وتطردي

من البيت لأنام في الشوارع ، وأتخيلها وهي تبكي وتولول من الفضيحة
التي خلفتها لها ، وأتخيلها وهي راقدة في فراشها والدموع تفرق عينيها
كأنها تغسلهما بماء التوبة لعلها قد تشفع لي عند الله الذي في السماء فيغفر
لي اخطائي .. وأتخيلها .. وأتخيلها ..

وآردت ان لا افكر فيها .. آردت ان ابعدها عني .. آردت ان
ابعد صورتها عن خيالي .. آردت ..

ولم استطع ..

كان كل شيء في البيت يذكرني بها ..

و ..

هربت من البيت ..

تركت البيت كله لها .. تخيالها ، لروحها .. وذهبت الى صلاح ..
كنت قد انقطعت اكثر من اسبوع عن رؤيته ، فاستقبلني بفرحة
الطفل الذي فقد لعبة كان يحبها في وقت من الأوقات ، ثم أهملها ، ثم حن
اليها ، وحين ارادها لم يجدها امامه ، فحزن قليلا عليها .. ووقف في
مكانه يتأملني بحرارة وشوق كبيرين وفوق شفتيه تنام ابتسامة صغيرة
كالتي كان يمنحها لي ايام ان كان يأتي الي في غرفتي ..

وبقينا صامتين لحظات طويلة .. لا انا اريد ان اكون البادئة في
الكلام ، ولا هو يريد .. وطالت فترة الصمت بيننا اكثر مما يجب ، فقال
ولا تزال عيناه فيها جوع شديد الي :

- اين كنت ! ..

قلت حالا وانا احبس الدموع في عيني لئلا تظهرني ضعيفة امامه :

- ماتت امي ..

لانت نظراته قليلا ، وتمتم بحزن شاحب :

- البقية في حياتك . .

قلت وانا أحس بالجرح الذي في قلبي ينزف بلا هوادة :

- ولم يبق لي من الدنيا غيرك . .

اقترب مني ، ومد يده نحوي ليسحبني قليلا اليه . . وكأني انا
الآخرى كنت انتظر منه هذه اللحظة لأندفع بكل قوتي اليه وانا اجهد
في البكاء ، فاحتضنني الى صدره وراح يمرر شفتيه فوق شعري . . وانتظرني
حتى اهدأ قليلا ، ثم قال :

- انا الآخر ، ليس لي غيرك يا حبيبتي . .

- كيف سأعيش يا صلاح ! . . كيف ! .. قل لي ، كيف سأعيش وانا

اشعر بان الدنيا تغلق كل ابوابها في وجهي . .

قال وهو يضع يده فوق في ليمنعني من الاسترسال في صب كلمات
العتاب في اذنيه :

- انت واهمة . . واهمة يا حبيبتي . . الدنيا التي يخيل لك انها قد

سدت كل ابوابها في وجهك قد فتحت لك منذ الساعة بابها الكبير
ليصلك بقلبي . .

- لكن ، يا صلاح . .

- لا تقولي اي شيء . . ميادة ، انت لا تعرفين كم احبك . .

رفعت وجهي اليه ، ونظرت الى عينيه الذائبتين في دنيا القدر ، وكانت
الدموع الحارة تملأ كل وجهي ، فرفع سبابته ليضعها فوق اجفاني ليمسح
بها ما جف من الدموع فيها ، واردف :

- فقط امهليني قليلا . . امهليني وسترين كيف سأكون انا بالنسبة

اليك يا حبيبتي . .

صحت بلهفة المحروق الذي يتعذب من النار التي فيها

ولا يجد من يسمعه ليطلقها له :

- لم اعد احتمل يا صلاح . . وانت تعرف كم اتعذب . .

- احتملي هذه الايام القليلة القادمة من اجلي . . من اجل حبيبك . .

من اجل صلاح . .

صدقته بسرعة . .

صدقته كما كنت اصدقته في كل مرة . . وربما لم اصدقته في عقلي . . ربما

كان احساسني يتملص ما بين الشك واليقين ، بعضه يلح علي ان اصدقته ،

وبعضه يقسم لي باغلاظ الايمان انه يخدعني . . لكن ، ما الذي كنت استطيع

ان افعله غير ان اعيش على هذه البارقة الضئيلة من الأمل و اترقبها بكل

يقضتي لعلها قد تو مض في لحظة من اللحظات فتسير دربي المظلم الذي اعرثر

كلما سرت فيه . .

.. و

في تلك اللحظة ، رن جرس الباب علينا من الخارج ، فارتبكت . . في

لحظة احسست بان عيون الناس كلها كانت تتبعني من بيتي الى شقته

لتضبطني وانا معه . . لا ادري لماذا انتابني هذا الهاجس بالرغم من انها لم

تكن المرة الاولى التي اكون فيها معه في الشقة ، وبالرغم من ان ذهابي اليه

في شقته كان قد اصبح من الاشياء الطبيعية عندي ، لكن . . هذه المرة

بالذات خفت . . وخوفي يتضخم لحظة اثر لحظة في نفسي ، فسحبت نفسي

بسرعة من بين ذراعيه وكل اوصالي ترتعد من الخوف ، وتلفت الى

كل الاتجاهات ابحت فيها عن اي مكان استطيع فيه ان اتوارى عن

الذي يرن جرس الباب . .

وكأنه ادرك سبب خوفي واضطرابي ، فقال وهو يعيدني بمحنان الى

صدره ليحمني كل شيء في :

- لا تخافي يا حبيبتي .. لا تخافي ..

قلت وانا أكاد اختلف في المكان الذي لا يستطيع ان افر منه :

- الباب .. جرس الباب يا صلاح ..

ضحك بكل رغبته للضحك ، ورد وهو يسترجع انفاسه المتراخمة

في صدره :

- لا تخافي .. انهم اصحابي .. عبد المنعم وبقية الرهط ..

هدأت قليلا ..

هدأت بعض الأشياء في ذاتي ، لكن .. راحت اشياء غيرها تقلقني

اكثر ، فقلت بمرارة :

- وستلعبون القمار ! ..

- ليس لنا غيره .. نسلي به انفسنا قليلا ..

تعلقت به ، كأني اريد ان امنعه من فتح باب الشقة الذي سيقوده

فتحبه الى ان يخسر كل شيء ، لكن جرس الباب عاد ليرن بقوة اشد من

اول مرة فقلت :

- صلاح .. انت تخسر الكثير بلعب القمار ..

قال بمرارة وهو يتململ في مكانه :

- لقد خسرت اكثر مما يجب ، ولم يبق لي الا القليل من الأمل

في الربح ..

- اتركه يا صلاح .. اترك اللعب ، ارجوك .. لقد اوعدتني ان

تركه .. الم تعدني ! ..

قال وهو يزيجني عن طريقه ليذهب الى الباب ويفتحه لأصحابه :

- اسمعي ، ليس الان وقت مثل هذا الكلام يا ميادة ..

صحت والألم يطعن في قلبي ليحيله في لحظة الى كتلة من العذاب :

- متى اذن .. متى يا صلاح ، وانت تخسر كل شيء ولا تهتم ..

- سنتكلم في هذا بعد ان ينتهي اللعب ..

- صلاح ..

قاطعي وهو ينفلت من امامي ويتخطاني الى الباب :

- ارجوك .. الناس يقفون في الخارج ، وليس من اللائق ان

بقيةهم ينتظرون ..

وفتح لهم الباب ..

ودخلوا ..

كانوا ثلاثة .. وعرفني بهم صلاح وهو يرشقي بنظرة لوم خفيفة

على تجهيم وجهي وانا اقف بجانبه لاستقبالهم ، وقال وهو
يقدمني لهم :

- الأنة ميادة . خطيبي ..

والتفت اليهم ، واستطرد وهو يقدمهم الواحد بعد الاخر الي :

- الاستاذ عبد المنعم .. وانت تعرفينه بالطبع ، فقد تعارفنا في

مرة سابقة ..

وهز عبد المنعم رأسه كأنه يوافق صلاح على ما يقوله ، وقال وهو يمد

يده الي يدي ويضغط عليها بطريقة غير اعتيادية جعلت الدماء تتدفق

الي وجهي :

- اهلا وسهلا .. كيف الحال يا انة ..

رددت وانا اسحب يدي منه بسرعة :

- اشكرك ..

وواصل صلاح وهو يقدم بقية الرهط الي :

- الاستاذ رياض ، والاستاذ منير .. من اعز الاصدقاء ..

وصافحني كل منها . .

وجلسوا . .

والوقت يمر علي ببطء . . كل لحظة تمر احس كأن السماء ترفع من فوق
صدري البعض القليل من الثقل الذي احمله ، واحس بانني اريد ان تمر
اللحظة الاخرى لترفع السماء البعض القليل الآخر من الثقل . . وتمضي
اللحظة الأخرى ، واتمنى لو تمر اللحظات بلح البصر لا تخلص من كل تلك
المنغصات التي يسببها لي هذا الجو المشحون بالقلق . .

كنت متضايقه من مكاني بين هؤلاء الرجال الغرباء الذين فرضهم صلاح
علي فرضاً . . اشعر بانني غريبة عنهم ، وعن جوهم الذي يثير في نفسي الخوف ،
واكرههم . . لا ادري لماذا كنت اكرههم واتمنى لو ان الاقدار تنجديني
فتبعدهم عني وعن صلاح الى الابد . . لا ادري لماذا كان يداهمني مثل هذا
الشعور . . لا ادري لماذا . .

وابتدأوا في اللعب . .

وانتظموا حول المائدة الكبيرة ، وامام كل منهم حفنة كبيرة
من الدنانير . .

ومضى بعض الوقت عليهم وهم يلعبون . .

واخذت سحناتهم تتبدل بسرعة . . وفقاً لمتطلبات اللعب ، وبرقت
فوق وجوههم سياء الحذر والخوف ، احدثهم يحذر من الآخر الذي معه ،
وانقلبت ضحكاتهم الى وجوم وترقب وخوف . . واخذ يبدو عليهم التعب
والارهاق . . كأنهم كانوا في سباق ركض للمسافات الطويلة وتعبوا من
شدة الجري . . اعصابهم خائرة ، وحببات من العرق تتفصد من جبين كل
واحد منهم . . ونظراتهم مخيفة . . نظرات محتقنة يفرقها اصحابها حول
المائدة بسرعة لتبحث لهم عن ورق اللعب الملقى في احدى زوايا المائدة . .

وكان اشد هم تعباً صلاح ..

وكان يخسر دائماً .. ويخسر الكثير في كل لعبة ..

وكان يحاول ان يظفيء تعبهُ بمجرعات كبيرة من قدح الخمر الذي امامه ،
وسيجارته لا تنظفيء ابداً .. كلما اوشكت السيجارة على الانتهاء
استبدلها بغيرها ..

عبد المنعم ، هو الشخص الوحيد بينهم الذي لم يكن ليكثرث للعب ،
ولم يكن ليحس باي مجهود او تعب كلما خسر او ربح .. كأنه كان يلعب من
اجل ان يتسلى فقط لا من اجل ان يكسب ..
وكان يربح دائماً ..

وبينما كانت نظرات الكل تضيع فوق المائدة وتحسب للنقود المبعثرة
في كل صوب منها الف حساب ، كانت نظرات عبد المنعم تنصب علي في كل
لحظة تبحث في كل قطعة مني عن الشيء الذي يريحه ..
وكانت نظراته تلتقي في كل مرة بنظراتي الخائبة ، الدليلة ، الخائفة من
كل هذه الاشياء الغريبة التي تدور من حولي ، وبيتسم لي ، واضطر ان ارد
له ابتسامته باقتضاب وانا اكاد اذوب في الحياء ، وفي الخوف ..
واخذت لا انظر اليه ..

واخذت اتدمر من مكاني .. من وجودي كالكلبة بين هؤلاء
الرجال .. واحسست بالغثيان ، احسست كأن يداً ثقيلة اخذت تهوى بكل
قوتها على عنقي لتخنقني ، واريد ان اتنفس .. اريد ان استنشق الهواء
النتقي في غير هذا المكان الذي يمتليء بدخان السيجائر .. اريد ان اخرج ..
اريد ان ابتعد .. اريد .. اريد اي شيء يبعدني عن هذا المكان .. وعن
هؤلاء الرجال ..

لكن ..

ما الذي استطيع ان افعله في غير هذا المكان ! ..

لا شيء .. لا شيء استطيع ان افعله سوى البقاء هنا حتى تأتي
رحمة من السماء فتهب صلاح الرشد لعله قد يصلح كل الأخطاء السابقة ..
ونظرات عبد المنعم ما زالت تلتهمني ..

ذلك الرجل الكهل ، الذي تجاوز عقده الخامس ، والذي اصبح كل شيء
فيه يشكو من الهرم والشيخوخة .. ماذا يريد مني ، وماذا تعني تلك
النظرات الجائعة التي يصبها على جسدي في كل لحظة ليعريه امامه ويستعرضه
في خياله ..

الى اين اسير انا وصلاح في هذه الدنيا ! ..
يخيل لي اننا نسير الى الافتراق .. نسير معاً في اتجاه واحد لنواري
احلى ما كان عندنا التراب ثم نفرق على اعس الذكريات ..
ما نهاية المطاف ! ..

فكرت .. وافكاري القلقة تتعبني ..
ومشكلة المشاكل عندي اني لا زلت احب صلاح ..
ولن استطيع ان ابتعد عنه مها يبدر منه تجاهي .. لن استطيع ان
اتركه وهو بهذه الحالة .. انه مريض .. وبحاجة الى من يعتني به .. بحاجة
الى من يكون لجانبه دائماً لياخذ بيده في الوقت المناسب وينقذه من الهوة
العميقة التي يريد ان يلقي بنفسه فيها ..
انه بحاجة الي ..

وكيف اتركه وهو قد يحتاجني في اية لحظة ..
اني اعرف صلاح .. اعرفه منذ ان كان فقيراً ، وكان انساناً طيباً ،
هادئاً هدوء الملائكة ، لطيفاً ، وكان يعيش لمبادئه ، لأهدافه التي رسمها
لنفسه واتعب عقله في رسم خطوطها الرفيعة .. ولكنه ، فجأة يجد ان كل
شيء من حوله يتبدل .. كل شيء ، واصبح بعد لحظة من موت عمه

من الاغنياء ..

فتغير ..

غيرته الثروة التي ورثها عن صمه ..

النقود استطاعت ان تغيره ..

غيرت كل شيء فيه .. غيرت ملبسه ومأكله ، وغيرت طريقته في

الكلام ، وغيرت نظرتة للعالم ، وغيرت اصدقائه ، وغيرت مبادئه

واهدافه .. غيرت كل شيء فيه الا قلبه ..

قلبه الرقيق هو وحده الذي لم تستطع كل هذه الثروة ان تغيره

فبقي لي ..

وقررت ان ابقى معه ..

قررت ان اضحي .. ان اضحي اكثر مما ضحيت في سبيله لعلمي قد

استطيع ان انقذه في اللحظة التي يعود فيها الى عقله ..

و ..

انتهوا من لعبهم ، وقاموا للمغادرتنا ..

ومرة اخرى ، مد عبد المنعم يده الى يدي وضغط عليها بنفس الطريقة

الغير اعتيادية ، ومرة اخرى تدفقت الدماء من وجهي وانا اغرق في الحياء

من مكاني ، وتمتم عبد المنعم وابتسامته الثقيلة تثير في كل اعصابي :

- مع السلامة يا انا .. اتمنى ان نراك دائماً ..

وخرجوا ..

وتركونا لوحدنا في الشقة ..

لم يبق لصلاح اي شيء ، وخسر كل الثروة التي ورثها عن عمه ..
وجن جنونه وهو يرى نفسه يعود الى نفس المكان الذي فكر في يوم
من الأيام ان لا يعود اليه .. جن تماما وهو يرى نفسه قد عاد الى حالة الفقر
والحرمان والتشرد ليجث له عن اللقمة التي يسد بها جوعه بعد ان كان
يعيش في ترف وخر ونسيان للعالم الذي يحيط به ..

وباع سيارته ..

ودفع ثمنها لعبد المنعم الذي كان يطلبه مبلغا كبيرا من المال ..
وتبدلت حالته بسرعة ..

تبدل كل شيء فيه ، واصبح لا يعي كل شيء يدور من حوله ..
اصبح اشبه بالانسان الذي فقد ذاكرته وعاد الى الحياة ليعيش حياة
اخرى غريبة لا تمت بصلة لحياته الأولى ..

وكان يتعذب ..

كل شيء فيه كان يذوب في العذاب ..

وحاول ان يطفىء عذابه بالخر لينسى كل حياته الماضية ، وكان لا
يريد ان يستفيق على الدنيا .. كأسه في يده دائما يشرب منها كلما شعر بأنه قد
اخذ يعود الى واقعه المرير ..

وابتعد عنه كل اصحابه ..

لم يجدوا فيه ما يشجعهم على مصاحبته فتركوه ..

عبد المنعم ، الشخص الوحيد الذي كان يزوره في كل يوم ليطلبه بما
تبقى له بدمته من النقود ..

واصبحت زيارات عبد المنعم ثقيلة على صلاح ..

ثم ..

ثقيلة علي انا الأخرى ..

وأخذ يلاحقني على مرأى من صلاح ..

ولم يكن صلاح يمتلك الجرأة ليردعه ويوقفه عند حده من العبث بكل
ما تبقى بينهما من قيم واخلاق .. كان صلاح اجبن من ان ينهره ، ودائما كان
يقف المبلغ الكبير من المال الذي استدانه صلاح منه في طريق طرده من
من شقته .. وعبد المنعم نفسه كان يعرف هذا ، ويقدر انه مادام له بدمه
صلاح هذا المبلغ من المال ، ومادام صلاح لا يستطيع ان يسدده له فانه في
ما من هنا في شقتنا ، ولن يستطيع صلاح ان يفعل اي شيء قد يغضبه
لثلاث اشهر في وجهه الكمبياله ويطلبه بدفع ما له عليه
من طلب ..

والأيام تمضي بذل ، وملاحظات عبد المنعم لي تقوى وتشتد ..
واصبح يلاحقني بكل شيء فيه .. بنظراته ، وبكلماته ، وبمحر كاته ،
وبابتساماته ، وحتى بضغطات يده على يدي في كل مرة يأتي فيها الى شقة
صلاح ، وفي كل مرة يغادر فيها الشقة ..

وكما ان يحاول دائما ان يشعر صلاح بانه يشفق عليه للحالة التي وقم
فيها .. وكان صلاح يعرف بان اهتمامه له ليس الا من اجلي انا ..

لكنه ، لم يستطع ان يفعل اي شيء له ..

كان مرغما على ان يسكت ، ومرغما على ان يتجاهل كل الامور التي
تدور امام عينيه لئلا تتضخم الاشياء وتنتهي به الى المكاف الذي
لا يتمناه ..

واصبح عبد المنعم قطعة منا ..

اصبح واحدا من اهل الشقة ..

وكان يأتي في كل مساء ومعه زجاجة من الخمر ، يفتحها
ويجلس مع صلاح ليشربها معه .. واضطر انا الى الجلوس معها
في الصالون ..

واضطر الى ان ارد على نظرات عبد المنعم الي .. واضطر الى ان ارد على
كلماته .. واضطر الى ان اتقبل مداعباته الثقيلة .. اضطر .. واضطر ..
واضطر ..

ثم ..

علمت ذات يوم من صلاح ان عبد المنعم قد سد عنه بدل ايجار الشقة
التي نسكنها ..
وغضبت تماما ..

وحاول صلاح ان يشرح لي كل شيء ، وتكلم كثيرا .. تكلم حتى كاد
رأسي ان ينفجر من الضيق وانا استمع اليه ..

وصحت في وجهه وانا في حالة من الغضب العنيف :

- كيف ترضى .. صلاح ، من يكون هذا الرجل لتقبل منه ان يدفع
عنا بدل ايجار الشقة .. كيف ترضى ! ..

قال وهو يكبت الألم الذي ينقل في كيانه ويدمره :

- لم يدفعه .. يا حبيبتي ، حاولي ان تفهميني ..

- افهم ماذا يا صلاح .. افهم ماذا ! ..

- انه لم يدفع اي فلس .. تأكدي ، وكل ما في الأمر اني قد طلبت منه ان يقرضني بدل الأيجار ، ووافق ..

ثم عصر رأسه بكلتا يديه ، ورفعني الي .. كنت احس به يتمزق بمنتهى القسوة في كل حركة يتحركها ، ويحاول ان يسيطر على نفسه ، وعلى اعصابه المنهارة .. ويحاول ان يبقى امامي نفس صلاح الذي كنت اعرفه واحترمه واحبه .. لكنه لم يستطع .. كان كل شيء فيه قد انهار تماما وفقد المقدرة على ان يستعيد مكاتته الأولى في قلب الدنيا ..

وتمتم وهو يعرض على اسفل شفتيه بقوة حتى ادماها :

- عبد المنعم هذا يطلبني ثلاثة آلاف دينار ، ولا ادري كيف اردها له لآتخلص من مضايقاته ..

بقيت واجمة في مكاني بالرغم من ان كلمات صلاح هذه كان وقعها اشد من وقوع الصاعقة على قلبي ، فاستطرد وهو يتأملني بلين ويلوي اصابع يديه الى الخلف كأنه يريد ان ينزعها من كفيه :

- ان مجيئه في كل يوم الى الشقة يضايقني .. ويضايقك انت ايضا .. لكن ، ليس لنا الا ان نحتمله ..

انسحبت ببطء من مكاني واتجهت الى المكان الذي يجلس فيه ، وقلت :

- صلاح .. الى متى سنبقى هكذا معه .. اليس هناك من حل ..

اجبني ! ..

رفع وجهه الي .. رمقني بنظرة خرساء تامة لا تعرف اين تستقر على وجهي ، وقال وكأنه قد اهتدى الى الحل :

- لقد فكرت في الحل .. وعليك ان تساعدني ..

ثم واصل وهو يتطلع ريقه بصعوبة ويتطلع برجاء في :
- ليس امامنا الا ان نسحب الكمبيوتر منه باية وسيلة كانت لنستطيع
ان نتخلص من تهديداته لنا ..

قلت بخوف وانا ارفع وجهي اليه :
- كيف ا..

اعتدل في مكانه ، واجاب :

- لقد دعوته هذه الليلة الى هنا ، وسنشرّب .. سأحاول ان
اجعله يشرب كثيرا حتى يفقد وعيه ، ثم .. سأطلب منه ان يقضي ليلته
في الشقة عندنا ..

قلت وكل اوصالي ترتعد لتحويلني الى قطعة من الخوف :
- كلا .. صلاح ، لا تحاول ان تفعل هذا ..
قاطعي :

- اسمعيني ، ارجوك .. ليس امامنا الا هذا ، وسأحاول ان اسحب
الكمبيوتر من جيبه ..

- لكن يا صلاح .. ماذا لو رأك وانت تمرقها منه ! ..

قاطعي بعصبية وهو يدفن وجهه بين يديه :

- سأقتله حينئذ .. تأكدي ، قد اضطر الى قتله ، وليس امامي غير
هذا الطريق لأتخلص منه ..

صحت به وانا اهب من مكاني فزعة اليه :

- صلاح .. هل جننت ..

قال وهو لا يزال في حالته العصبية ويحاول ان يهدأ قليلا :

- ليس امامي غير هذا .. ميادة ، يا الهي ، كم عذبتك معي ..

وبكى ..

كان يتألم .. كل شيء فيه يتمزق .. كل شيء فيه يريد ان يكفر عن
اعماله الماضية ولا يستطيع ..
وبكيت انا الأخرى ..

بكيت لعذابه ونسيت ما انا فيه من العذاب ..
ومد يده الي ، وسحبني برفق اليه ، وتمتم من خلال دموعه :
- انت ضحية يا حبيبتي .. ضحية طيشي ونزقي ، واحاولي ان اعيد
مافات الي ما كان عليه من قبل لنستطيع ان نعود الي الحياة ونعيش فيها
كما كنا نحلم بها من قبل .. لكن ، يبدو لي ان المتاعب لا تريد
ان تنتهي ..

ورفع يدي الي فمه بخشوع ، وطبع عليها قبلة صامته ، وواصل :
- كم اتمنى ان اسعدك .. كم اتمنى ، لكن .. تلك الثروة
القذرة ، المنحوسة ، التي اوقعتنا في كل هذه المتاعب قد حرمت احدنا
من الآخر ..

قلت له ولا تزال الدموع تنخر في عيني لتحرقها :
- اني مستعدة ان اضحي بكل شيء من اجلك يا صلاح .. لكن ،
ما الذي يستطيع ان افعله انا ! ..

سكت فترة من الوقت ، ثم رد :
- فلنحاول معا ان نلبيه طيلة وجوده معنا هذه الليلة حتى اجد انا
طريقي معه ..

- لكن يا صلاح .. ماذا لو راك وانت تأخذ الكبيالة من جيبه ! ..
- لن يراني .. تأكدي انه لن يراني ..

ثم واصل وهو يمرر يده من حول شعره ويتطلع في عيني برجاء :
- واريدك ان تساعدني قليلا عليه يا حبيبتي .. وتذكري ، ان هذه

الليلة يجب ان تمر بسلام علينا حتى وان تخللتها بعض المضايقات .. وحاولي
انت ان تجعليه يحس باننا معه ، واننا نحبه ، حاولي ان تبترسي دائماً في
وجهه .. حاولي ، وتذكري دائماً .. لو اننا استطعنا ان نأخذ
هذه الكمبيالة منه فان حياتنا منذ الغد ستنتظم ونعود
كما كنا .. وسنتزوج .. وسنعيش معا والى الابد في راحة
دائمة ..

لم اجبه ..

كنت خائفة ..

اشياء كثيرة كانت تنهال على عقلي وقلبي لتحجيل كل الدنيا
من حولي الى قطعة من الظلام الأبدي .. وكل شيء في كياني
يضطرب .. يضطرب وهو يتمزق ، واحاول ان اجعل هذه الليلة
تمر بسلام ..

لكن ..

كيف ستمر هذه الليلة .. اريد ان اعرف قبل هذا السلام ، ما الذي
سيحدث في هذه الليلة الرهيبة .. اريد ان اعرف ، واكاد اجن لأنني لا
استطيع ان استبق الأحداث ..

واعدت نظراتي الحائرة ، الممتلئة بالقلق اليه ..

والتقت عينانا في لحظة واحدة ..

وقلت له وانا احتمي به ، كأني اريد ان احتمي به من عبد المنعم ، ذلك
الغول المفترس الذي اخذ خياله يخيفني ، فدفنت نفسي كلها في صدره ،
وقلت له وانا ارتعد من الخوف :

- صلاح .. اني خائفة ..

قال وهو يداعب شعري بانامله بحنان :

- لن تمر هذه الساعات القليلة يا حبيبتي الا ونكون قد انتهينا من كل
المتاعب التي تواجه حبنا ، وسنعيش من بعد الليلة لنحقق كل الأحلام
الجميلة التي كانت تداعب خيالنا معا . .

- ابي خائفة . . خائفة يا صلاح . .

لم يجبني ، وانقض على شفتي ليطويها بشفتيه ويشبعها تقبيلا ، فاندفعت
بكل نفسي اليه . . الى شفتيه اريد المزيد من القبلات . . المزيد من
الأطمئنان . . وتلاحقت انفاسنا ، احسنا معا ، في لحظة من اللحظات
انا نعود الى الدنيا بعد فرقة طويلة من العمر لنستعيد ثقتنا معا بالحياة
وبحبنا العنيف الجارف الذي لن تقدر اية قوة في الوجود ان تمحيه
من قلبينا . .

وبقينا هكذا اكثر من ساعة . .

لا انا اريد ان انفك عنه لاني احس في اللحظة التي اسحب من بين
شفتيه نفسي كأني ضائعة في عالم كل اهله من الوحوش الكاسرة وستنقض
جميع هذه الوحوش علي لو يتركني صلاح لوحدي . . ولا هو يريد ان
ينفك عني لأحساسه بأني بحاجة دائمة الى حبه الكبير . .

ثم . .

فجأة ، رن جرس الباب من الخارج . .

وتركني صلاح في مكاني والنار تلسع قلبي وقام من مكانه ليفتح

الباب . .

كانت الساعة تناهز التاسعة ليلا حين أقبل عبد المنعم الى الشقة حاملا
بين يديه بضعة أكياس فيها زجاجات البيرة ، وزجاجة عرق واحدة ، وانواع
مختلفة من الفواكه ، واشكال كثيرة من المزرز . .

وخف صلاح اليه ليتناول منه بعض ما كان يحمله من الحاجيات ليذهب

بها الى المطبخ ..

ودخل عبد المنعم ..

ووقف يتطلع الي وابتسامته الشرهة تطفو فوق شفتيه ، وحياتي
بايماءة خفيفة من رأسه ، وقال :

- ليلتك سعيدة يا انسة ..

اقتطفت ابتسامه صغيرة من بين شفتي لأبادل بها ابتسامته الكريهة ،
وتمتمت وانا ادير وجهي عنه الى ناحية المطبخ ابحت عن صلاح ليأتي
فينقذني منه :

- مساء الخير ..

- كيف الحال يا انسة ..

لم ينتظر مني ان ارد عليه ، وجلس فوق نفس الأريكة التي اجلس عليها ،
ولا تزال نظراته الجائعة ترمقني بجنون يبعث في نفسي على المزيد من
الخوف منه ..

وحاولت ان اهرب من نظراته .. ان اهرب من عينيه الجائعتين الذي
يحاول بهما ان ينهش كل شيء في .. حاولت ، وبذلت كل ما عندي
من طاقة ..

واستطعت الى حد ما ان اهرب من عينيه الجائعتين ..

لكنني لم استطع ان اهرب من افكاري التي ترهبنني كلما اخذت افكر
بما سيقدم عليه صلاح في هذه الليلة ، ولا كيف ستمر كل هذه الساعات
الباقية بسلام وانا اشعر بان الدنيا تكاد تنفجر من حولي في كل لحظة لتحيل
كل شيء الى كتلة من رماد ..

وبقيت قلقة ..

حتى اقبل صلاح من المطبخ يحمل بيده زجاجات البيرة وثلاثة اقداح ،

فهب عبد المنعم من مكانه لنجدته ، وتناول منه زجاجات البيرة ووضعها فوق المائدة ، ثم التفت نحو صلاح ، ثم نحوي ، وقال وهو يطلق ضحكة صغيرة بكل احترام وتأدب :

- ثلاثة اقداح !..

قاطع صلاح بسرعة وهو يغمزني بطرف عينه ونفسه تضيع في موجة من الحياء من موقفه مني :

- هل نسيت ميادة يارجل !..

- هل ستشرب الأنسة معنا !.. فرصة سعيدة جدا ..

اردت ان ارد عليه ، لكن صلاح كان اسرع مني في الرد عليه ، واجابه باقتضاب وهو يعود الى الزجاجات التي على المائدة ويرتبها على ذوقه :

- زجاجة من البيرة ستنشطها قليلا ..

رد عبد المنعم مؤيدا ما قاله صلاح :

- فعلا .. الأطباء يصفونها بدل الدواء احيانا ..

ثم ضحك ..

وفكرت وانا اتأملهما وهما يرتبان المائدة .. زجاجة من البيرة ليس فيها ما يخيف ، وليس فيها ما يسيء الى سمعتي ، ولن تحط من قدرتي عند عبد المنعم او غيره ، وانا قد سبق لي وشربت اكثر من زجاجة من البيرة في مناسبات كثيرة ، وشربت اكثر من زجاجة مع صلاح نفسه .. وهذه الليلة بالذات علي ان احسن التصرف ، وان لا اجعل مما تبقى من الساعات تبدو منغصة لعبد المنعم او لصلاح ، ويجب ان اجاملهما على الأقل .. وان اجامل عبد المنعم بالذات ليتسنى لصلاح ان يسحب الكميالة منه لتنتهي كل متاعبنا ويعود كل شيء الى ما كان عليه ..

هذه الليلة يجب ان تمر مهما يكن فيها من متاعب ..

ومهما يكن فيها من توضيحات ..

يجب .. يجب .. يجب ان اكون منطلقة في حديثي مع عبد المنعم ..
يجب ان اشعره باننا انا وصلاح نحبه ، ونقدره ، ونود لو انه يبقى معنا
المزيد من الوقت ..

هذا ما يريد صلاح ..

وفتح عبد المنعم زجاجة من البيرة ، وصبها في الكأس التي امامي ،
وفتح لصلاح واحدة ثانية ، وافرغها في الكأس التي امامه ، وفتح له
الثالثة ، وافرغها في كأسه .. وقال وهو يرفع كأسه الى شفتيه وينظر الي
والي صلاح مرة واحدة :

- نشرب قبل كل شيء نخب الأنسة ميادة ..

وافرغ كأسه في جوفه مرة واحدة ، وتطلع صلاح الي برجاء ، كأنه يتوسل
بي ان احتمل كل هذه المنغصات من اجله للمرة الأخيرة ، ونظرت انا الي
صلاح بألم شديد ، وكأني اقول له اني من اجله قد احتمل كل منغصات
الدنيا ، ثم ابتسمت لهما معا ورفعت الكأس وهي ترتعد الي شفتي لأرتشف
منها رشفة صغيرة ..

وقام عبد المنعم من مكانه الي جهاز الغرامفون ، وبحث في الأسطوانات
عن مجموعة راقصة منها ، ووضعها في الجهاز ، ثم اداره عن مقطوعة تانكو
بطيئة ، وعاد الينا وهو يبتسم براحة عميقة ويفرك يديه الواحدة بالأخرى
ونظراته منصبة على صلاح كأنه يرجوه ان يشمل جو المكان اكثر
ليغرقه في الدفء ..

والثفت صلاح الي ، وقال لي وهو يعيد الي عبد المنعم نظرة
خائبة ثقيلة :

- تعالي نرقص .. هل تريدان ! ..

حاولت ان ارفض .. ان اعتذر بلين ، لكن .. تلك النظرات الممتلئة
بالرجاء والتوسل من صلاح جعلتني اوافق بسرعة ، فقامت من مكاني وانا
احس بالحرج الشديد من هذه التصرفات الغريبة التي تدور بغموض من
حولي ..

واحتواني صلاح بين ذراعيه ..

ولأول مرة ، كنت احس بانني اراقص قطعة من جماد لا روح فيه ولا
حياة ، واحساسي هذا يتضخم ، ويكبر .. واحس بالملل ، وبالضيق ، وبقوة
الذراعين التي يشدني بها صلاح اليه تكاد تطبق على انفاسي المتعبدة في
الصدر فتخنقني ..

وتمنيت لو تنتهي الرقصة بسرعة ..

لكن ..

قبل ان تنتهي المقطوعة ، قام عبد المنعم من مكانه ، واتجه
صوبنا ، ومد يده من وراء صلاح ، وهمس له بمرح وهو يحاول ان يسمعني
ما يقوله له :

- الأنتمة ميادة ترقص بمهارة نادرة يا صلاح .. واتمنى ان اجرب حظي

معا لو سمحت ..

لم يقل صلاح اي شي ، وسلمني اليه بمنتهى البساطة ، وعاد ليجلس

في مكانه ..

واحسست حتى تلك اللحظة بان هناك شيئاً قد دبر لي في الخفاء ..

شيء دبره لي صلاح مع عبد المنعم ، لكنني .. حاولت ان اكذب تلك

الظنون والهواجس حتى اللحظة الأخيرة .. حاولت ان اكذب احساسني ..

هل يعقل ان اصدق مثل هذا ! ..

كيف ! .. كيف اصدق ان صلاح يريد ان يقدمني لعبد المنعم .. كيف

اصدق هذا ! ..

واشياء كثيرة كانت تضرب في الرأس وهي تضطرب من الخوف ،
وتريد ان تتخلص من هذه القوة العنيفة التي تريد ان تسحقني .. وانا
دائخة .. دائخة وانا بين يدي عبد المنعم .. وعبد المنعم يدور بي ، ويدور ،
ويدور .. كأنه يريدني ان ادوخ من كثرة الدوران حول نفسي ، فأقع ..
وصدره يعلو ويهبط بانفاسه الحارة ، ووجهه يقترب ببطء من وجهي ،
ويده ترتعش وهي تطوي خصري اليه ، ويده الأخرى ترتعش ايضا وهي
مقبضة على كفي بقوة ، كأنه يخشى ان اسحب كفي منه في كل لحظة ،
واقدامه راسخة في الأرض ، يديرها بلا مبالاة ولا تقييد وبلا اصول ..
والتفت الى الوراء قليلا ..

الى صلاح ، لأراه .. لأستنجد به في اللحظة التي قد احتاج فيها الى من
ينقذني من هذا الغول الذي يريد ان يلتهمني ..
ولم اجده ..

كان قد ترك لعبد المنعم الشقة .. وخرج ..
وتركني له ..

ورفعت وجهي الى عبد المنعم ، اردت ان اقول شيئاً ، ان اعتذر له
عن مواصلة الرقصة ، ان .. ان .. لكنني لم استطع ..
خوفي منعي ..

وقال وهو يلقي اليه ويحاول ان يطبق وجهه بوجهي :
- هل تدرين يا انسة ! .. اني معجب بك ..

دفعته عني بكل قوتي ، لكنه بقي مقبضاً على يدي بكفه القوية ،
وسحبني اكثر اليه حتى اطبق صدره على صدري ، وتمتم وانفاسه تخور
في صدره من التعب :

- مالك ! ..

- تعبت من الرقص ، واريد ان اعود الى مكاني ..

كأنه لم يسمعي ، واستطرد :

- اني احبك .. احببتك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها هنا

وتمنيت لو اننا نكون لبعض ..

صحت به وانفاسي تلتهب في صدري :

- ارجوك .. دعني ..

لم يتركني ، وانقض بشفتيه على شفتي كالوحش الجائع الذي قتله جوعه ،

وقبلني بكل قوته ، ودفعته عني .. دفعته بكل قوتي ، لكنه كان اقوى

مني ، وكانت تلك المقاومة التي بذلتها لصدده عني قد اوقدت فيه الرغبة على

اقتناصي ..

وقبلني ايضا ..

وقلت له بتوسل وانا احاول ان ادفعه برفق عني بعد ان ايقنت ان لا

فائدة من استعمال القوة معه :

- ارجوك .. اتركني ..

وقبلاته لا تزال تنهال علي ، وانا اختمسق ، وانفاسي تتعب بمرعة ،

واكاد اقع في كل لحظة على الأرض فتسندني يداه بقوة لترفعني اليه ،

وعقلي لا يفكر .. لم يبق لعقلي المجال ليفكر ، وقلبي يتمزق ، والدموع

تفرق عيني ..

وسحبني معه ..

سحبني الى غرفة النوم ..

وجننت ..

تمنيت لو اني استطيع ان انقذ نفسي من بين يديه القويتين واركض

نحو المطبخ لأستل منه سكيناً حادة واعود اليه لأقطع بها جسده قطعة

قطعة .. تمنيت لو اني فقط استطيع ان افلت منه لعلمي قد استطيع ان

اجد لي الطريق الى الشارع . .
لكنني لم استطع . .
ودفعني امامه الى الغرفة . .
. . و
دخل من بعدي اليها . .
ثم . .
اغلق الباب . .

وعاد صلاح في الصباح الى الشقة ..
عاد بعد ان خرج عبد المنعم منها ..
لم يكلمني وهو يدخل ، كأنه كان يعلم مسبقاً اني قد اكتشفت اللعبة
الديئة التي قام بها مع عبد المنعم لأرغامي على بيع نفسي
لهذا الأخير ..

لم أكله انا الأخرى .. تركته يذهب الى غرفة النوم ليخلع ملابسه ،
ولحقت به ، ودخلت من بعده بقليل الى الغرفة ، ووقفت اطلع فيه
باحترار وكل اوصالي تتقطع من الحقد والكراهية للدنيا التي القتني بين يدي
هذا الرجل وجعلتني احبه كل هذا الحب ..

ورفع رأسه الي ، رمقني بنظرة باهتة خرساء ، ثم عاد واخفض عينيه
عني الى الأرض ، فانتظرت منه ان يعيد نظراته الي .. وانتظرت وانا واقفة
فوق رأسه وكل كياني يشتعل ليحيل كل الأشياء التي من حولي
الى اشياء عقيمة ، مهزوزة ، تراقص باضطراب امام عيني وهي تقع لتذوب
في الفناء ..

ويأست منه ..

وقلت له وانا انقض عليه كحيوان مفترس يريد ان يؤذي كل مخلوق آخر
اضعف منه سقط بين قبضته ليفتك به لا لشيء وانما لشعوره بانه قد عاد

الى قوته التي كان قد خسرها في جولة فاشلة مضت :

- لقد نام صاحبك هنا امس .. هل تعلم ..

لم يجبني ، وواصلت وكل اعصابي تتمزق من الحقد عليه :

- نام ممي .. هل تعلم .. نام مع خطيبتك في نفس هذه الغرفة ،

وفوق نفس هذا الفراش ..

لم يجبني ايضاً ، وكان يحاول ان يتمالك نفسه المنهكة واعصابه الخائرة

المتعبة ، فواصلت القول وانا اتعذب لسكوته :

- واخذمني كل شيء اراده .. اخذ حتى جسدي .. وكل هذا قد

حدث وانت تدري .. حدث كل هذا بعلمك .. بارادتك انت ..

رفع وجهه الي ، لكن نظراته بقيت مسمرة في الأرض ، كأنه كان

يخجل ان يرفعها الي ليراني بعد ان انحط الى هذا المستوى

الرديء ..

وقلت وانا اسحب نفسي بسرعة من المكان لأخرج من الغرفة التي

ابتدأت ارتهب من البقاء فيها :

- ومن هذه الساعة لا انت تعرفني ولا انا اعرفك .. وسأعود

الى اهلي ..

انتفض فجأة من مكانه كأن عقربا قد لسعته ، وهرع نحو لي لمسك بي

ويعنني من تركه ، واستطاع ان يوقفني عند باب الغرفة .. فوقفت في

مكاني ، ووقف هو امامي ، وعينه في الأرض لا يستطيع ان يرفعها الي ،

ويحاول ان يتكلم ويعجز لسانه عن الكلام ، ثم ضغط بكل ماتبقى عنده من

قوة على طرف لسانه ، وقال في شبه توسل :

- كلا .. لاتذهبي ..

نظرت اليه بترفع ، كأنني انظر الى حشرة صغيرة تمر من بين اقدامي

وبأمكناني في اية لحظة ان امرر قدمي من فوقها فاسحقها ،
وقلت :

- هل تريدني !..

- اني احبك .. وبقدر ما احبك فأني اريدك ..

- هل تريدني لنفسك ام للناس !..

قال وهو يكبت الدموع في عينيه :

- انت تعرفين اني لا استطيع ان استغني عنك ..

- لتقدمني للرجال الذين تعرفهم !..

- اني اسف .. وتأكدي ان هذا قد حدث من غير ان استطيع

ان اوقفه ..

- كنت تستطيع لو اردت .. لكنك انت لا تريد ..

- كيف يرضيني ان ارى جسد اعز المخلوقات الى قلبي يهان ويداس

ثم اسكت ..

- لا ادري كيف .. لكنك انت اردت هذا ، وقد حدث هذا الذي

اردته من اجل ان تنال مقابل ذلك ..

قاطعني بالم وهو يئن من الوجع :

- ساحبيني يا حبيبتي .. ساحبيني ..

وسكتنا معا ..

كل منا غمرته موجة من الأفكار الخاصة لتبعده عن الآخر

وتجعله يتوه في دروب طويلة متشعبة وخفيفة لا يمكن ان تتلاقى ابد

الدهر ..

ثم عاد ليقول وهو يرفع يده الى يدي يريد ان يقبض عليها ، ثم لم

يجسر ، فاعاد يده الى مكانها :

- لقد هددني النذل انه سيلقي بي في السجن اذا لا ادفع له ..
واضطرتت .. اضطرتت بالرغم من اني كنت احس بانى اقود روحي الى
المذبحة ..

ثم بكى ..

آلمتني تلك الدموع الحارة التي راحت تنزف من عينييه لتغسل له
آثامه ، وتمنيت لو اني كنت استطيع ان اسحق تلك الدموع ولا آبه
لها كما سحقت صاحبها قبل قليل ، وتمنيت لو انى اقدر ان آتجاهلها .. لو
انى اقدر ان اهلها .. لو انى ابقى كما انا ، قوية كالتيار الصاخب الذي لا يرحم ..
لكنى لم استطع ..
كنت احبه ..

احبه بالرغم من كل ما سببه لي حبه هذا من المتاعب .. احبه بالرغم
من ان حبه يقودني دائماً الى الدبح .. احبه .. احبه ، وليس هذا
الشيء بيدي ..

وعدت لأقف بباب الغرفة ، وسرت ببطء نحو اقرب مقعد صادف
طريقي ، والقيت بنفسى فيه والحزن يمزق لي قلبي ..
وطاد الى بعد ان تركنى في مكاني فترة طويلة من الوقت لاهداً ، ووقف
امامى ينظر الى بخشوع ، ثم قال وهو يمد يده بتردد وخوف شديدتين ليضعهما
فوق كتفى :

- ميادة .. سنزوج خلال هذه الأيام القليلة ، وسأحاول ان
ابحث منذ الغد عن اى عمل لنستطيع ان نعيش به .. وسأسمعك ..
تأ كدى ، انى سأحاول ان اعوض لك عما فات ، وسأجعلك تعيشين براحة
دائمة وأوانت معى ..
لم ارد عليه ..

كنت احس بجسدي يتقطع قطعة قطعة وانا ملقاة فوق المقعد ،
واحساسي يصور لي ما حدث في الليلة الماضية على اني مها ساكون بالنسبة
الى صلاح فاني لن استطيع ان ارفع وجهي في وجوه الناس لأقف في صف
النساء الشريفات ممنهن ..

وشعرت على انامله وهي ترفع وجهي الى الأعلى قليلا .. والتقت
نظراتنا معاً ، وارتعشت عيناه قليلا وهو يصوبها الي ، ثم قال :

- هل ساحتني ..

ابقيت عيني في عينيه ، فعاد ليقول وروحه تذوب في الحزن :

- ميادة .. دعيني اسمع هذا منك .. قولي انك قد ساحتني ..

اخفضت عيني عنه ، وتمتمت له وانفاسي تتهدج في صدري وهي تحترق

في العذاب :

- فليسأحك الله ..

- اريدك انت انت تسأحيني قبل الله .. سأحيني انت وسيعفر

لي الله ..

قلت وقلبي يعود مرة اخرى ليخفق بين جوارحي ليزكرني بانه مها

حدث فانه لا يزال هناك مكان صلاح فيه :

- انت تدري ماقلبي ..

انقض على يدي يريد ان يبللها بدموعه فسحبتهما منه بسرعة ، والقيت

بكل نفسي بين احضانه ..

ثم بكيت ..

* * *

ومضت الأيام ..

وصلاح يحاول ان يجد له عملاً ..

ثم تعب ..

اتعبه البحث عن العمل ، فكان يعود دائماً الى بوجه مكفهر اضناه
التعب ، وبأنفاس ثقيله لا تكاد تصل الى صدره حتى يلفظها بقسوة
الى السماء ..

ولم ينقطع عن الشرب ..

في كل مرة يعود فيها من الخارج ، كان يأتي معه بزجاجة من العرق ،
يفتحها ويشربها كلها ، ثم يسب ويلعن الدنيا والظروف التي جعلته يترك
كليته وينغمس في دنيا لم تخلق له فضاء فيها ..

وكان وضعه المترديء يؤلمني جدا ، واحاول ان انصحه بالكف عن
شرب الخمر ، واحاول ان ارشده الى الطريق الذي يجب ان يسلكه ليؤدي
بنا معا الى حياة افضل من هذه التي نعيشها في هذا الجحيم الذي لا يطاق ،
واحاول .. واحاول ..

ثم ..

لم اجدا اية فائدة من كل تلك المحاولات التي بذلتها معه ..

لم يكن يستمع الي ..

وتبدل بسرعة ..

اصبح انسانا آخر .. صلاح لم يبق منه غير الاسم .. وكل شيء ما عدا اسمه
قد تدهور ، وهو في طريقه الى الفناء البطيء ..
ولازلت احبه ..

مشكلتي الكبيرة اني كنت لا ازال احب صلاح بالرغم من كل تلك
المتاعب التي كنت اواجهها وانامعه .. احبه بالرغم من كل ما قاسيته منه ..
احبه .. ولعلني كنت مجنونة وانا افني شبابي في شقة رجل اعلم تمام
العلم بان الأيام لا يمكن ان تصلحه ..

لكن ..

ما الذي كنت تستطيع ان افعله ! ..

وان استطعت ان افهم كل هذا بعقلي فكيف استطيع ان افنع قلبي
وعواطفي بهجره والتخلي عنه ..

.. و

ذات مرة ، لم اعد احتمل وانا اراه على تلك الحالة المؤلمة وهو يصرخ
ويثور ويلعن الأقدار التي قادته الى هذا الطريق ، فقررت ان اضع حدا
لتصرفاته التي اصبحت لا اطيعها ، وان افرض ارادتي عليه بعد ان يأس
معه في كل محاولاتي لأصلحه .. كانت الحالة التي تولتني ساعتها غريبة ،
وربما كانت شاذة علي انا التي لم اتعود طيلة العمر الذي قضيته معه ان اقف
ذلك الموقف الصارم القاسي منه .. لكنني كنت مرغمة .. مرغمة على ان
اقف في وجهه لأردعه عن سلوك ذلك الطريق الذي يؤدي بنا معا نحو
الهاوية ، فقلت له وانا ارد على صراخه بصيحة عالية اسكنته في الحال
وجعلت سحنة وجهه تتغير في لحظة من حالة الغضب والتبرم من كل شيء
الى حالة من الصمت والبلاهة :

- كفي .. كفي ..

وبقيت عيناه مسمرتين في عيني كأنه لا يصدق ان تلك الصيحة العالية
التي اسكنت كل شيء فيه يمكن ان تكون صيحتي انا ، ولم امنحه المجال
ليقول اي شيء ، وقلت له وانا اترك مسكاني لأذهب الى غرفة النوم :

- لم اعد اطيع كل هذا .. هل تفهم ، لم اعد امتلك وانت بهذه

الحالة .. سكر وشم وصياح .. وسأجن لو بقيت يوما آخر اهنا ..

قال وهو يترنح من اثر الحجرة التي تمزق له رأسه ويحاول ان يسيطر

على اقدامه لثلا يقع :

- وماذا تريد مني انت مني ! . .

- لاشيء ، وسأذهب لأعيش مع عمتي مادمت لم تعد تحتاج الي . .
لانت قليلا نظراته ، وارتخت اعصابه اكثر ، وقال وهو يتجهم ببطء
وتراخي الى احد المقاعد القريب منه ويلقي بكل ثقله عليه وهو يتنفس
بسرعة :

- لكن يا حبيبتي ، اني لم اقل لك ما يفضبك . . ماذا قلت انا ! . .

- لاشيء ، لكني انا لا يمكن ان اقضي كل عمري في الجحيم . .

- اي جحيم هذا يا حبيبتي ! . . اي جحيم ! . .

قاطعته والف سكين تطعن في كيانني لتمزقه :

- اسمع يا صلاح . . يوم تركت بيتي وجئت لأعيش معك هنا لم اكن
احلم ابدا ان اعيش مثل هذه الحياة . . كنت انت قد اوعدتني بحياة
جديدة . . هل تذكر ، كنت قد رسمت لقلبي غير هذه الصورة البائسة التي
اعيشها اليوم وانا معك . . وحلت انا بالكلمات الدافئة الرقيقة التي كنت
تصبها في اذني . . وأردت ان احقق تلك الأحلام التي عشناها معا . . هل
تذكر ، كيف كنا نجلس في غرفتي لتحدثني وانت مسترخي على الأريكة
عن الدنيا الجديدة التي تحلم ان تكون لنا في يوم من الأيام . .

تمم وخياله يسبقه الى ابعاد ابعاد الدنيا وكأ أنه يحاول ان يستعيد له
اشياء غريبة كانت قد ابتعدت عن الدائرة التي يدور من حولها الآن :

- دنيا الخيال . .

- كنا نستطيع ان نخلق من ذلك الخيال الرائع واقعنا الذي كان

يجب ان يكون لنا . .

قال كأ أنه يسخر مني ومن افكاري التي لم يعد يؤمن بها لأنها لم تعد

تهمه في شيء :

- فلنخلقه .. لماذا لا نخلقه .. فلنخلقه مادامت هذه هي رغبتك ..
- لكنها ليست رغبتك انت .. وانا لوحدي لا استطيع ، واحتاج
لقوة رجل .. احتاج لصلاح جديد .. لروح صلاح ، لقلب صلاح ،
لأحاساس صلاح ..

ضحك ، وقال وهو يتجشأ ويبحث في اطراف الغرفة عن لاشيء :

- وصلاح امامك هنا .. وماذا تريد ان اكون ! ..

- انت لست صلاح .. صلاح الذي كنت اعرفه لا يشبهك في

شيء ..

ضحك ايضا وكأنه يستمع الى نكتة باردة ، وقال :

- لكنني اقسم لك اني انا هو صلاح .. واني اقف لجانبك .. الا

تريني ! ..

- صلاح الذي كان يحبني ويرسم قلبي طريق الأمل والحياة لم يعد له

اي وجود على الارض .. وانت لاتشبهه الا في الشكل ..

اعتدل قليلا في جلسته ، وقال وهو يحاول ان يكون جادا :

- حبيبي .. ارحمني .. يجب ان ترحمني قليلا .. يجب ان

تعذرني ايضا .. اني امر بفترة نقاهة ، وستنتهي هذه الفترة ، وسأعود

اليك كما انا ..

- لن تنتهي هذه الفترة ابدا ، وستأخذ منك كل عمرك .. تأكد ،

انت لن تستطيع بعد ان ادمنت على الخمر ان تكون اكثر مما انت عليه ..

- استطيع .. استطيع ان اعود الى صلاح الذي كنت تعرفينه ..

- ما الذي يمنعك اذن من العودة الى ما كنت عليه ! ..

- نفسي .. اريد ان انسى ، والخمرة تنسيني بعض متاعبي

واحزاني .. لكن انت يا حبيبي لا تريد ان ترحمني بعض الوقت ..

- اني آمني لو استطيع ان انتشلك من هذه الهوة التي القيت نفسك فيها بارادتك .. لكن ، انت لا تريد .. وتريد ان تبقى صمرك كله هكذا ..

* * *

ومضت الايام الاخرى ..

بضعة ايام اخرى مضت ونحن لا نتحدث مع بعض ..
يخرج في الصباح ، وابقى انا في الشقة ، ثم يعود في المساء ، واكون قد اعددت لنا شيئاً لنا كلة ، فنجلس معاً لنا كل .. لا انا اكله ، ولا هو يكلمني ، ثم يذهب لينام في غرفة النوم ، وانام انا في الصالون .. ويخرج في الليل ، ثم يعود ومعه زجاجة من العرق ، ويجلس ليشرّبها لوحده ، واجلس انا معه .. اجلس بعيدة عنه اتأمله وهو يشرب الزجاجة بهدوء .. ثم تأخذ حالته في التبدل ببطء ، ويبدأ في السب والشتم .. يسب نفسه ويشتم الاقدار .. ثم يقوم بعد ان ينتهي من شرب الزجاجة لينام .. وابقى انا لوحدي في الصالون حتى انام ..

ومللت تماماً من هذه الحياة العقيمة التي اعيشها معه ..
وتمنيت لو اني استطيع ان اتركه لحاله وابتعد عنه .. تمنيت لو ان قلبي كان من حجر اذن لتركته يموت لحاله مادام هو يريد ان يعجل في نهايته ، واذهب انا لحالي ابحث عما تبقى لي من نصيب في الدنيا ..
لكني لا استطيع .. واسفاه ..

مجرد احساسني بان الرجل الذي احبه يتعذب كان يدفعني الى البقاء بجانبه ورعايته لعلني قد استطيع في يوم من الايام ان اعيدته الى واقعه الذي ابتعد عنه ..

حتى كان يوماً ..

وطاد من الخارج ، وكنت قد اعددت الطعام على المائدة وجلست

بانتظاره . .

ودخل . .

ثم جلس الى المائدة ، ولم يأكل . . رفع وجهه الي ورشقني بنظرة
دافئة طويلة كأنه يستعيد بها ذكريات عميقة البعد ويتحسر عليها ،
وارتعت عيناها وهما تلتقيان بعينيه ، فاخفضتهما عنه ، فقال وهو يسحب
كرسيه ليقربه من المكان الذي اجلس فيه :

- يبدو ان الحياة الشريفة لم تعد تصلح لامثالي . .

رفعت عيني اليه ، اردت ان اقول شيئا ، لكنني تذكرت انه قدمضت

فترة طويلة من الأيام علينا ونحن لا نتكلم مع بعض فيها . .

وسكت . .

فعاد ليقول وهو يدفن عينيه في الارض :

- مالك ! . .

قلت وانا احاول ان اتجاهله ويمدبني قلبي لاني اعذبه بتجاهلي له :

- لاشيء . .

- انت غاضبة . . غاضبة علي يا حبيبتي . .

- كلا . . لست غاضبة . .

قام من مكانه ، ثم وقف وراء المقعد الذي اجلس عليه ، ومد يده الي
شعري يساويه برفق ، فسحبت رأسي منه بحركة لا ارادية ، فواصل
يقول :

- ميادة ، يا حبيبتي . . انت آخر من يجب ان تفكر بالغضب مني . .

رددت عليه وقلبي يتفطر في صدري :

- قلت لك ، اني لست غاضبة . .

- كل شيء فيك يقول لي انك غاضبة . . وانا ادمر ، واتمذب

كلما اراك وانت حزينة . .

- ابي حزينة من اجلك . .

قال ونفسه تفرق في العذاب الذي يطويه ولا يستطيع ان ينفك عنه :

- ما الذي استطيع ان افعله لك ! . . ما الذي اقدر ان افعله لنا

معا ! . . لاشيء ، ابي انسان عاجز . . رجل لي كل صفات الرجال وابحث

عن عمل ولا اجد من يقبل ان يشغلني عنده ، فماذا افعل للدنيا . .

قلبي لم يعد يحتمل عذابه اكثر . . اعصابي ، لم اعد استطيع ان

اضغط عليها بارادتي اكثر لآبقبها صامدة في وجهه كالصخر الذي لا يلين . .

نظراتي اليه لم اعد استطيع ان اجعلها تتسم باللامبالاة . .

اصبح كل شيء في يدوب من الحزن عليه . .

وقلت له وانا التفت التفاتة صغيرة اليه :

- لنا الله ، وسنجد باذن الله . .

قاطعي وهو يصنع المائدة التي نجلس من حولها بقبضة كفه بكل

ما تبقى فيه من قوة :

- الله . . الله . . دائما الله ، والله لايرانا . . الله يرى غيرنا من الناس . .

ثم هدأ قليلا بعد لحظات ، وقال وهو يعود الى كرسيه فيجلس عليه :

- هل تدرين ! . . لقد فكرت هذا اليوم ان اسرق محفظة نقود من

جيب احد الرجال . . رأيتته وهو يخرج دينارا منها ليصرفه في السيارة ،

ولا ادري كيف امتدت نظراتي لتستقر على المحفظة فرأيت فيها كمية كبيرة

من الدنانير . . وفكرت ان اسرقها . . وحاولت . . بذلت المستحيل لكي

اقنع نفسي بان حاجتي لتلك النقود اكثر من حاجة صاحبها اليها ، لكنني لم

استطع . . عذبتني اشياء كثيرة كانت تضطرب في داخلي ، كأن هناك

عشرات من السكاكين الحادة كانت تظمن في كياني لتردعني عن السرقة . .



قت من مكاني اليه ..

لم استطع ان ابقي جالسة في مكاني والنار تحرق في احشائي من
الداخل ، وقلت له وانا امديدي الى كتفه واهصره بلين والدموع
تغرق وجهي :

- صلاح ..

خنقتني دموعي ، ولم استطع ان اوصل الكلام ، والقيت بكل نفسي
عليه ، فاحتواني بين ذراعيه ودفن رأسه في صدري وراح يجيش في البكاء
كالأطفال ..

ودفنت اناملي في شعره ودموعي تغرقني في العذاب ، فرفع وجهه
الي ، وتمتم وهو يحاول ان يتغلب على دموعه التي تضعفه امامي :

- انت كنت السبب .. انت ، خيالك منعني من ان امديدي الى
جيب الرجل واسرق محفظة نقوده .. لكن ، كيف استطيع ان احصل على
ما يجعلنا نعيش كما يعيش غيرنا من الناس ! .. كيف ..

رددت عليه وانا اقبله في وجهه واحس كأن باب السماء يفتح لنا
من جديد بعد ان اوصدته الاقدار في وجهنا ليطل نور الله علينا
فيماركنا :

- اصبر يا حبيبي .. لقد صبرت كثيرا ، وحتما ستجد العمل .. ان
لم يكن اليوم ففي الغد ، فقط لا تيأس من عطف الله ..

- لو كنت استطيع ان اصبر اكثر على هذه الحياة لصبرت .. لكنني
لم اعد اطيع .. سأجن يا ميادة .. سأجن ..

- اعتمد على الله ، وعلى نفسك ، وتذكر دائماً ان الله يرانا ولن
ينسانا ابدا ..

التفت الي ، ورفع بيده التي ترتعد وجهي اليه ، وغارت عيناه في عيني

لحظات طويلة ، ثم قال وهو يطبع قبلة رقيقة فوق وجهي :
- ترى ، لو لم تكوني انت معي ، كيف كنت سأحتمل كل هذا

العذاب .. ما طعم الدنيا لو لم تكوني انت معي فيها ..
- اني معك دائماً يا صلاح .. وسأبقى معك الى الابد ..
وطواني بذراعيه ..

وغبنا عن الوجود في قبلة دافئة طويلة ..
و ..

نسينا الطعام الذي كان على المائدة ..
وجدنا طعاما ، الذم منه واشهى ..



تلك الليلة غيرت مجرى حياتي مع صلاح ، وغيرت مجرى حياته مع
الدينيا ..

وكانت ليلة من الليالي التي لا يمكن ان انساها مدى عمري ..
ليلة كئيبة .. حزينه ، ذليله .. لاشيء فيها يوحي بالأطمئنان ..
لاشيء فيها يدعو على انها ستنشق عن فجر منير ..
وكانت ممطرة ..

الأمطار تهطل بغزارة من جوف السماء ، واكاد اسمع صوت سقوط
قطرات المطر الثقيلة وهي تصفع وجه الشارع وانا جالسة في مكاني قرب
النافذة المطلة على الشارع انتظر عودة صلاح .. والليل اوشك ان
ينتصف ..

لعلها كانت المرة الاولى التي يتأخر فيها صلاح عن العودة الى الشقة
لذلك .. اخذت تساورني الظنون ..

واخذت احسب لتأخره عن العودة الف حساب .. والخوف
يلتهمني .. كل شيء في كان يخاف .. كل شيء في كان يتضايق من تلك
الوحدة القاتلة التي تلفني ..

.. و

تجاوب الى سمعي وقع اقدام ثقيلة تضرب الأرض القريبة من
ب الشقة ..

ودق قلبي ..

ولا زلت خائفة .. مترددة من وقع تلك الأقدام الدخيلة التي تقترب
سرعة نحو الباب ..

ثم ..

توقف الصوت .. صوت الأقدام ..

وتحركت من خارج الشقة أكره الباب ..
وفتحته ..

ودخل ..

عبدالمنعم ، وكانت بيده نفس سلسلة المفاتيح التي كان يحملها صلاح
عنه ، ثم اطبق الباب من خلفه ..

وقفزت من مكاني وانا ارتعد من الخوف منه ..
وابتسم هو ..

ووقف في مكانه ينظر الي كالكلب المسعور الذي ينتظر في كل لحظة
ان تحين لحظة الهجوم لينقض على من وقع تحت قبضته لينهشه بانيا به ..

ثم ، مضت لحظات سريعة مضطربة ، واخذ يقترب مني ببطء
ابتسامته الكريهة تسبقه الى شق الطريق نحوي ..

حاولت ان اصرخ .. ان استغيث .. ان اهرب ، اغافله واهرب من
مامه الى خارج الشقة .. لكنني لم استطع .. اشياء كثيرة كانت تصرخ في

أني وتتصارع فيما بينها لتوقفي في مكاني كالصنم الذي لا حياة فيه ..
وتمم ببرود وهو يتطلع الى عيني :

- ليلتك سعيدة يا انسة ..

كأنني كنت انتظر منه ان يبدأ في الكلام لأرد عليه ، فصحت في وجهه
وكل جسدي يرتعش من الخوف :

- ماذا تريد ! ..

رد بمنتهى البرود وهو يرشقني بنظرة ذات معنى :

- انت ..

حمد كل شيء في مرة واحدة ، وقدرت انه سيأخذ نفس الشيء الذي
كان قد اخذه مني في المرة السابقة ، وسيستطيع ان يأخذ كل شيء
يريده بسهولة لأنني لن استطيع ان اقاومه ، وليس امامي الا ان ارضخ
له .. ليس امامي غير ان اقبل سواء ان اردت ام لا ..

وماذا استطيع ان افعل ..

لا شيء ..

القوة تتكلم في اغلب الحالات .. وفي هذه الحالة ، القوة هي التي تفرض

نفسها وتتحكم ..

نظرت اليه برهبة ، بخوف ورهبة معاً ، كأنني شاة تقاد الى الذبح
وتريد ان تفكر بحيلة بليدة لتنجو بنفسها من طرف السكين الذي فوق
رقبتها .. وقلت في شبه توصل له :

- اسمع يا عبد المنعم ..

قاطعني وهو ينقص فجأة علي بكل جسده لينترعني بقوة من مسكاني
ويأخذني بين ذراعيه ويقبلني :

- انت اسمعيني .. اني احبك .. احبك واثمناك ، واريدك دائماً ..

اريدك لي وحدي ، لكن انت لا تريدني ، وتحبين هذا القواد الذي اسمه
صلاح .. وماذا افعل انا لك ! .. ماذا ! ..

- عبد المنعم .. ارجوك ..



لم يستمع الي ، وواصل والنار تحرق في اعصابه حتى تذيبها في الشهوة :
- لم يكن امامي الا ان اعطيه الثمن . . واعطيته الثمن . .
كانت انفاسه تلهث في صدره ، ويحاول ان يجمعها بين اسنانه وهو
يكلمني ، واستطرد وهو يسحبني اليه اكثر ، وانا احاول ان ادفعه عني
ولا اقدر :

- اني احبك . . خذي كل شيء مني . . كل شيء ، فقط دعيني انعم
بلحظات هنيئة معك . .

- اتركني . . اتركني . . اتركني . .
قلتها بيأس ، ورددتها اكثر من مرة وانا اعلم بانها لن تأتي بأية
نتيجة معه . .

وقال وهو ينهال على وجهي بقبلاته وصدره يضيق بانفاسه :
- ميادة . . ميادة ، اني احبك . . احبك ، وكوني طاقلة . . وسأجعلك
تعيشين كل عمرك في النعيم . .
صحت بكل صوتي به وانا احاول ان اتملص من بين ذراعيه
القويتين :

- افهمني . . ارجوك ، حاول ان تفهمني . . اني . . اني لا احبك . .
لا احبك . . اتركني . .
قال بعصبية وهو يسحق اسنانه بعضها ببعض وكأنه يتلغ اهانة
كبيرة اوجهها له :

- ليس المهم ان تحبيني . . وقد دفعت انا له الثمن ، ووافق هو . .
ويجب ان استرده منك انت . . هل فهمت ! . .
ودفعني امامه الى الغرفة . .

حاولت ان اسحب نفسي منه . . حاولت بكل ما اتمكن عليه من

قوة ، لكنه كان اقوى مني ..

واغلق الباب علينا من الداخل ..

* * *

وعلمت بان لا مكان لي بعد تلك الليلة في شقة صلاح ..

لم يعد لي اي مكان في قلبه ايضا ..

ومهما يكن .. ومهما كانت الظروف التي تحيط بصلاح فاني لا يجب ان

ابقي معه بعد اليوم على امل ان احاول معه لعله يعود الى الطريق الذي انفلت عنه ..

اصبحت اكرهه ..

اكره هذا الرجل الذي اسمه صلاح ، والذي راح يقبض الثمن ليبييعني

الى اي رجل كان من اجل نفسه .. اصبحت امقته تماما ولا اطيق ان

اجعل اسمه يمر على خيالي ..

ولم انتظر عودته الي كما انتظرته في المرة الأولى ..

لم يعد لي اي شأن معه بعد الذي حدث ..

واخذت اجمع كل شيء يعود الي واضعه في الحقيبة الصغيرة التي جئت

بها اليه يوم ان تركت بيتي حال ان غادر عبد المنعم الشقة ..

و ..

خرجت من الشقة الى الشارع ..

ووقفت دقائق طويلة اتأمل الدنيا المحيطة بي ، وكأني كنت ضائعة

عنها ثم اهتديت اليها بعد عمر طويل قضيته في البحث ، واستنشقت كمية

كبيرة من الهواء البارد الذي كان يهب علي وجهي من المشرق .. استنشقت

اكبر كمية استطعت ان اسحبها الى صدري ، كأني كنت في مكان ليس فيه

هواء ثم فجأة تمرب القليل من الهواء الي من مكان لا اعرف اين هو ،

واخاف ان تمر اللحظة الاخرى وينقطع الهواء ، واعود فاختنق ..

ومرت من امامي احدى سيارات الأجرة ، واشتريت للسائق ،
فتوقف . . وصعدت الى السيارة ، واعطيته عنوان بيتنا . . ثم استلقيت
في مكاني على المقعد الخلفي وانا اشعر كأنني اعود الى الدنيا من جديد
لأعيش فيها حياة جديدة غير حياتي الاولى . .

وافكاري في السيارة لم تستطع ان تنجيني من صلاح . .

عدت ايضا لأفكر فيه . .

لا مفر لي منه . .

سيعود ، ولن يراني اقف في انتظاره . . ماذا سيفعل حينئذ . .

ماذا . . ! وسيحتاج الى من يعد له اموره . . الى من يقف بجانبه في المحنة . .

الى من يعالجه . . الى من يقوي في قلبه الأمل الذي يكاد يذوي . .

من سيقف معه لينتشله من تلك الهوة السحيقة الذي يريد ان يرمي

بنفسه اليها . .

كنت انا من قبل . .

من سيقف بعد اليوم معه ! . .

لا احد . .

سيبقى لوحده . . سيعيش لوحده ، يتعذب ، ويحزن ، ويمزق نفسه في

اللحظة الف مرة ، ويبكي ، ويتوسل الى القدر ان يعينه ، ويشرب الخمر

لعلها قد تعينه على النسيان . .

لكنه ، سيبقى معذبا . .

واسفاه . .

وعدت لأعيش مع عمتي نجيبة في نفس بيتنا الذي انتقلت هي اليه
لتسكنه بعد ان هجرته ..
وفرحت بعودتي ..

كانت تعيش لوحدها في ذلك البيت الكبير بعد ان تركته وذهبت الى
صلاح لأعيش معه ، وكانت تشعر دائماً بان العالم كله قد تخلى عنها ونبذها
بعد ان بلغت هذه المرحلة من العمر .. شعورها هذا جعلها هي الاخرى
تبادل الناس المحيطين بها المقت والكرهية ، وجعلها تنفرد عنهم جميعا
وتنزوي بين جدران ذلك البيت ، لا يهمها من امر الدنيا اي شيء ..
لذلك ..

حين عدت اليها احست كأن القدر قد عاد ليتفرق بها بعد صمر طويل
من العذاب فمنحها الشيء التي كانت تحلم ان تسعددها الأيام به ..
وبكت بحرقة وهي تراني اقف امامها وجهاً لوجه ، فاحتوتني بين
ذراعيها وامطرتني بوابل من قبلاتها ..
وسألتني عن حكايتي ..

لم تكن تهتم بالحكاية بقدر ما كان يهمها ان تثرثر قليلا معي بعد ان
كاد اللعاب يجف في فمها المغلق كل هذه الحقبة من الدهر ..

ولم اكن صادقة معها بالطبع وانا اسرد لها حكايتي .. لكنني استطعت
الى حد ما ان اقنعها بانني بعد موت امي قررت ان اهجّر البيت الذي كانت
يذكرني بها ، وسافرت الى احدى المدن القريبة من بغداد ، وكنت اعرف
فيها صديقة لي فبقيت في بيتها حتى حننت الى العودة ، فعدت ..

وصدقني ..

لم يكن في حكايتي ما يثير عندها اي شك ..

ورحت اطوف في البيت ، وادخل غرفه .. غرفة بعد غرفة ، وابحث

في زواياها عن الاشياء الغالية علي ، واتحسس حاجيات كل غرفة بعذاب

تصاحبه موجة من الرهبة والتردد ، ثم اشعر كأن كل شيء في البيت

لا اعرفه .. وكأني ادخل هذا المكان لأول مرة في حياتي .. وارتحت

لهذا الشعور .. ارتحت كثيرا لأنني على الأقل ارى الاشياء جديدة من

حولي بعد ان تعبت عيني من الاشياء القديمة التي تثير الحزن في القلب ..

وعمتي نجيبة تتبعني بعينيها .. وترى كل شيء تقع عيني عليه بحزن ،

وموجة من الرهبة تصاحب حزنها العميق ..

ومضت بي الايام وانا اعيش في البيت مع عمتي ..

وهي معي دائما ، ترعاني بحنانها ، وقلبها الكبير يتفتح لي يوما بعد

آخر لتظل منه روحها العذبة الممتلئة رقة وحنانا ..

كم بقيت معها وانا على تلك الحالة الضائعة ! ..

كم من الايام ، وكم من الاشهر قضيتها معها وانا في كل يوم منها اطوف

في البيت ابحث فيه عن اشياء كثيرة كانت لي ولا اجدها فيه .. وكم من

المرات صعدت فيها الى غرفتي وحبست نفسي فيها لأبكي واجتر

ذكرياتي الجميلة عن تلك الايام التي مضت من عمري .. وكم من مرة كانت

نظراتي تتسرب خفية لتزحف بخوف نحو الشرفة المطلة على الشارع تبحت

فيها عن خيال رجل اكرهه واتمنى له كل الخير . .

لا ادري . .

والايام تجري بعمرى . .

ولا ازال انا في البيت يقتلني البحث عن الاشياء الغالية التي اضعتها
فأعيش على امل ان استعيدها لتعيش في قلبي مع الذكريات التي احتفظ
بها فيه . .

وصلاح . . صورته معي دائما ، في خيالي ، وفي قلبي ، وفي دمي . .
صورته تملأ كل مكان اكون فيه . . ودأما الصورة نفس الصورة ،
لا تتبدل . . صورة تمثله وهو يشرب الخمر ويلعن الدنيا ويسب القدر
الذي رماه في الحضيض ولم يرحمه ، وكان يبكي في الصورة . . ودموعه
الحارة تنزف بحرقه من عينيه ، ثم تتحرك الصورة قليلا ، فاراه وهو يرفع
رأسه الى قليلا ليرمقني بنظرة ذابلة كئيبة يغمرها الحزن وكأنه يأسف
لأنه لم يستطع ان يكون ذلك الرجل الذي كنت اريده ان يكونه . .
وكنت اتعذب . .

في كل يوم يزداد عذابى . .

وابكي . .

لم يبق لي غير الدموع . .

وكنت افكر ، دائما . . ومنذ ان عدت الى البيت وتركت صلاح
لوحده كانت تنهال على عقلي افكار غريبة لم اعتد ان افكر بها من قبل . .
لعلني فعلا كنت قد ابتدأت انظر الى الحياة نظرة واقعية واقيس كل
الاشياء التي من حولي بمنظار من الواقع بعد ان مزقني الخيال الذي كنت
اهرب اليه من قبل . .

كنت اقول لنفسي : ما هو مستقبلي في هذا البيت وانا حبيسة

جدرانه . . ما الذي ستفعله الايام القاسية التي لا ترحم بي وهي تزحف
نحوي لتطويني مع النسيان كما طوت غيري من اللواتي لا حظ لهم
ولا قسمة في الحياة . . ما هو مستقبلي . . واين اقف انا من هذه الدنيا . .
ومن الناس ! . .

لعلها المرة الاولى التي كنت ابحث فيها عن مستقبلي بعد ان
ضاع مني . .

ودأما ، كنت لا اجد الجواب الذي يقنعني فيريحني . .
كأنني كنت اعلم مسبقا بان مستقبلي الذي ابحث عنه قد انتهى به
المصير الى الدمار ، فلم يعد لي ما استطيع به ان اشق طريقتي نحوه . .
هل سأكون مثل عمتي نجيبة ! . .
وابقى بلا زواج حتى آخر عمري ! . .

واعيش كما تعيش هي . . منبوذة من الكل . . لا احد يعرفها ، ولا
احد يريد ان يعرفها . . كأنها قطعة من جماد لا تفيد بشيء . . هل اكون
انا مثلها ! . .

واتمزق . . تمزقني تلك الهواجس ، واحترق في اليوم الف مرة . .
تمزقني الظنون السوداء فيزداد قلتي ويشتد عذاب قلبي . .

* * *

وذات يوم . .

كنت في غرفتي ابكي وانا مستلقية فوق الفراش حين طرقت سمعي
صوت رجل غريب يتكلم مع عمتي ، حاولت ان اتبين الصوت لعلني قد
استطيع ان اتعرف على صاحبه ، ولم استطع . . وبقيت ممددة في الفراش
انصت اليهما لعلني قد اتبين شيئا مما يدور بينهما من الكلام . .
ثم نادتنني عمتي بصوت مبجوح كأنها تستنجد بي لأخف اليها :

- ميادة . . ميادة . .

قفزت من مكاني . . عمتي تناديني ، اذن فالقضية تخصني انا ، هكذا
قلت لنفسي وانا اندفع بكل ما اقدر ان اركض به لأصل اليها لحظة
قبل اخرى . .

كان يقف عند عتبة باب البيت احد رجال الشرطة ، وكان يحمل بيده
ملف فيه اوراق ، وكان يتكلم مع عمتي حين لمحني انزل الدرج اليهما ،
فتوقف عن متابعة كلامه مع عمتي وراح ينظر الي ببرود وبلامبالاة . .
ولم استطع ان اقف لحظة لأنتظر منه ان يكون هو الباديء في الكلام ،
فقلت وانا احاول بكل ما عندي من قوة ان ابدو لامبالية فيما يمكن ان
يكون قد حدث :

- ماذا حدث ! . .

قال الشرطي بلهجة رسمية جدا وهو يحني رأسه كله على الملف الذي في
يده ويقرأ بطريقة اثارت في نفسي المزيد من الرعب والفرع :

- ميادة عبدالكريم . . هل انت هي . .

قلت بسرعة كأني اريده ان يدخل في صلب الموضوع في الحال :

- ماذا تريد ! . .

قال وهو يتفحصني بنظرة عميقة فيها ريبة وشك :

- انت مطلوبة في مركز الشرطة . .

فزعت . . وجحظت عينا عمتي من الخوف وهي تتلقى كلمات الشرطي
وكأنها سيل من الرصاص قد وجهته يد خفية لتقتلنا معا انا وهي مرة
واحدة ، بينما وقف الشرطي يتأملنا بلامبالاة . .

وطال وجومي ، ونظراتي تنبه في كل صوب من المسكان تبحث بحيرة
عن الشيء الذي يقدر ان يبدد كل تلك المخاوف التي تغلغلت في كيانني

لتنخر فيه حتى تذيبه ، وانفاسي تعلو وتهبط كأنها تريد ان تشق بسكين
حادة صدري الصغير لتستطيع ان تنطلق منه الى الفضاء بعد ان حبستها
فيه ، وقلبي يغوص الى اعماقي ، ويغوص ، ويغوص .. كأنه يعلم مسبقا
انه هو اصل البلاء في كل هذه الامور التي انا واقعة فيها ويريد ان يتهرب
من عبء المسؤولية ..

وبطيتا بطيتا ، اخذت استردا انفاسي ، وهدأت قليلا ، وقلت للشرطي
وانا ارمق عمتي بنظرة خائفة كأنني اريدها ان تعينني في اللحظة التي
سأقع فيها بين قبضة القدر :

- لماذا مركز الشرطة ! .. هل اقدر ان اعرف لماذا ! ..

قال وهو يعمد النظر الي :

- لا ادري .. هم ارسالوني لكي ابلغك ، لكنهم لم يجبروني على

احضارك بالطبع .. وانت حرة ان ذهبت ام لا ..

هدأت اعصابي اكثر من ذي قبل ..

اني حرة في ان اذهب او لا اذهب ، ولا احد يرغمني على الذهاب الى

مركز الشرطة .. اذن فالقضية ليست خطيرة ، وانا لاشيء سيصيبني ،

والموضوع قد يهمني لكنه لن يؤذيني ..

ماهي الحكاية ! ..

قلت للشرطي بهدوء وانا اقترب منه قليلا وتحاول نظرا ان تتسلل

الى الملف الذي في يده لعلني قد استطيع ان اقرأ شيئا فيه يهمني :

- سأذهب .. هل اذهب الآن معك ..

- اذهبي لوحدك يا آنسة ، اما انا فعندي اوراق كثيرة ويجب ان ابلغ

بها اصحابها ..

وخرج ..

وتركنا انا وعمتي نتيه في سحابة من القلق والحيرة ..
وقالت عمتي وهي تدفن جسدها في احدى المقاعد القريبة منها وقد
خار كل شيء فيها :

- لا تذهبي يا ابنتي .. العني الشيطان ولا تذهبي ..
ترددت والحيرة تعصف بقلبي وعقلي معا قبل ان اقول لها :
- لكن يا عمتي ، يجب ان اعرف ما هو السبب الذي ارسلوا في طلبي
من اجله ..

قالت تحذرنني :

- مهما يكن السبب فلا تذهبي ..

لم اجبها ..

كنت قد قررت بيني وبين نفسي ان اذهب ..



وذهبت . .

لم استطع الا ان اذهب . .

ودخلت الى غرفة مأمور المركز بقلب واجف واعصاب محطمة كأني
قد ارتكبت جريمة كبيرة لا يعلم بها الناس الا هذا الرجل واخاف في كل
لحظة ان يفضحني امام كل الناس ويكشفني على حقيقتي لهم . .
حييته بايماءة خفيفة من رأسي ووقفت ارنو اليه باضطراب شديد . .
كان مأمور المركز قد تأملني بما فيه الكفاية ، كأنه كان يتأمل واحدة
قد اجتمعت فيها كل الأدلة لتدينها بالجرم لكنها بريئة ، وقال وهو ينتزع
نصف ابتسامة من بين شفثيه ليلوك بها كلماته السريعة :

- الأنة ميادة . .

اجبته ولم يزل الخوف يعصف بقلبي :

- نعم . .

تمم ونظراته تضيع بين اوراق كثيرة كانت منتشرة امامه
على المكتب :

- هل تعرفين رجلا اسمه صلاح . .

انهد كل حيلي مرة واحدة وانا اسمع اسم صلاح يردد هنا في مركز

الشرطة ، واحسست في نفس اللحظة ان اقدامي لم تعتمد قادرة على حمل
جسدي الثقيل . . جسدي المثلث بالأوجاع والخوف ، ومادت الارض
بي . . احسست كأن الارض تنفطر من تحت اقدامي لتنشق فتدفنني
في جوفها . .

واستطرد وهو يتأملني برفق ويرى امتقاع وجهي :

- لحظة واحدة من فضلك . . تفضلي واجلسي . .

جلست . .

وضغط مأمور المركز على جرس صغير كان امامه فوق المكتب ،
فانفتح الباب في نفس اللحظة ودخل منه احد رجال الشرطة ، فعاجله
المأمور :

- اين صلاح . . احضره حالا ، واحضر معه المرأة . .

وخرج الشرطي بعد ان اغلق الباب وراءه . .

وعاد مأمور المركز يقلب الأوراق الكثيرة التي امامه على المكتب . .

وبقيت انا في مكاني لا ادري ماذا يدور من حولي من الاشياء ، وفي
الرأس تحتار افكاري القلقة في تفسير ماقد يمكن ان يحدث في هذا العالم
الغريب الذي اصبحت اكرهه . .

وتمزق رأسي تماما من لحظات الانتظار الرهيبة التي قضيتها مع
هو اجسي وحيرني مما يدور من حولي . . وابتدأت تضايق . . اشياء
كثيرة تتمرد في كياني ، وتعصف بقلبي ، وتدمر لي اعصابي ، وتخنق في
صدري انفاسي . . واريد ان اخمد كل شيء مرة واحدة لعلمي قد استريح
الى الأبد من كل هذه المتاعب . . اريد ان اهدأ . . ان تهدأ اعصابي
ايضا ، ويهدأ ذلك الوجيب الذي تحدته دقات قلبي السريعة ، وتهدأ انفاسي
التي راحت تثقل على صدري وهي تضغط عليه بقوة لتسحقه . .

ثم ..

عاد الشرطي ..

وكان معه سلاح ..

وامرأة في العشرين من عمرها ..

وهبت من مكاني اليه في نفس اللحظة التي رأيتَه يدخل فيها الى غرفة

المأمور .. كنت اريد ان لا افعل ذلك ، لكن شيئاً لا ادري كنهه دفعني

من مكاني دفعة قوية ليجمعني اقف لجانب سلاح في لحظة تخلى فيها

الكل عنه ..

واحتار هو كيف يستقبلني في هذا المكان ونظرات المأمور تترصد

كل حركة من حركاته ، فعاد واخفض وجهه عني الى الارض ..

لم استطع ان اصبر على السكوت ، وقلت لصلاح وقد نسيت تماماً كل

الذي كان بيننا من متاعب :

- صلاح .. ماذا حدث يا صلاح ! ..

عاجلني مأمور المركز وهو يفرق نظراته بيننا نحن الثلاثة .. انا

وصلاح والمرأة التي لا اعرفها :

- هل تعرفيه يا آنسة ..

رددت وانا احول عيني عن صلاح الى المرأة التي تقف معه واحاول

ان اربط ما بيننا وبين صلاح ، واحترت كيف اعلل وجودها معه :

- ماذا حدث يا سيدي ! ..

رد المأمور وهو يقرب شفطيه بامتعاض :

- صلاح هذا متهم بالسهمرة يا آنسة ، وقد ضبطته مفرزة الشرطة

في بيت للرديلة ..

صحت بكل صوتي كأنني اتحدى مأمور المركز على ما يزعمه من

اكاذيب ملفقة لا يمكن ان تمت الى الحقيقة بشيء :

- كلا .. كلا ..

استطرد مأمور المركز وكأنه لم يسمعي اصيح في وجهه :

- هل هو خطيبك حقا كما يدعي ! ..

لم اجبه ..

واخذت استرد اعصابي المنهارة ببطء وانا واقفة في مكاني اتطلع ببلاهة في كل الوجوه التي تلتف من حولي في الغرفة ، حتي التقت عيني بصلاح ، وسرت اليه ، ثم وقفت على بعد خطوة منه ، ورمقته بنظرة سريعة امتزج الغضب فيها بالنفور منه ، وقلت :

- صلاح ! .. حقا ! ..

قاطعني وهو يرفع عينيه بعد تردد الي :

- اني جائع .. جائع واريد ان اكل ..

احتقرته ..

احتقرته بكل ما في الكلمة من معنى ، واحسست في تلك اللحظة بان مثلي الأعلى الذي كنت آتمنى ان تبقيه الدينالي قد ذاب وانتهى الى الأبد ، وصلاح .. ذلك الذي كنت آتمنى ان تشفيه الايام وتنقذه مما ألت به من العلل قد انتهى الى الأبد واصبح من احقر الناس الي ..
واشحت بوجهي عنه ..

ووقعت نظراتي على المرأة التي ادخلها الشرطي مع صلاح ، وابتعدت عيني بسرعة عنها وانا اتجه الى مكتب المأمور بخطى سريعة ، وقلت للمأمور :

- هل استطيع ان اعود ياسيدي ..

- هل عرفت يا آنسة لماذا ارسلنا في طلبك هنا ..

- كلا ..

- من اجل ان تكفليه ليخرج من الموقف حتى
تم محاكمته ..

رددت وانا التفت نصف التفاتة الى صلاح وابعدي عني عنه
بسرعة :

- اني لا اعرفه ياسيدي ..

- يقول انه خطيبك ..

ثرت مرة اخرى .. ثرت بشدة ، واحسست باهانة كبيرة توجه الي هنا
في هذا المكان ، فتركت مكاني ، وعدت الى صلاح .. سرت
بسرعة اليه وكأني اريد ان ابلغه في نفس اللحظة التي
طعنت فيها ..

ووقفت امامه ..

وتطلعت اليه باحتقار ، فرفع وجهه الي .. وكان يبكي ، ووجهه
تغرقه الدموع ، كأنه بتلك الدموع يحاول ان يجعل قلبي يلين عليه ،
واراد ان يتكلم .. حاول ، ثم منعه دموعه ..

وقلت له وانا اتحفز لمواجهته :

- ماذا تريد مني ! .. قل لي ، ماذا تريد ! ..

تمم بتوسل شديد وهو يرمقني بنظرة ذليلة :

- ميادة ..

بصقت في وجهه ..

من شدة حقدي عليه في تلك الساعة بصقت في وجهه ، وصحت بكل
صوتي وانا التفت الى مأمور المركز :

- سيدي ، اني لا اعرفه .. صدقني ، اني لا اعرفه ..

- لن تكفليه اذن ! ..
- اني لا اعرفه .. صدقتني ، واريد ان اعود لو سمحت ..
- مع السلامة ..
.. و
مرة اخرى ، التفت اليه .. رمقته بنظرة محتقرة ..
وخرجت من غرفة مأمور المركز ..
وكانت الدموع تغرقني ..

اصبحت كالمجنونة ..

تصرفاتي في البيت تصرفات مجانين .. حركاتي وانا انتقل من مكان
الى مكان كأني غريبة عن البيت الذي قضيت فيه كل عمري كانت حركات
مجانين .. الكلمات التي كنت اتقوه بها كانت بعيدة عني .. افكاري ..
نظراتي .. قلتي .. كل شيء في كان يجن في اليوم الف مرة ..
وابتدأت افقد السيطرة على اعصابي ، واثور لأتفه الاشياء ، واصرخ
في وجوه الناس .. في وجه عمتي نجيبة ، وفي وجوه اطفال الجيران الذين
كانوا يأتون الينا في البيت كلما استدعتهم عمتي نجيبة لتتسلى معهم كلما
ضايقتها الوحدة ..

واخذت اخاف ..

اخاف من نفسي المجنونة التي تقودني في كل لحظة مقبلة الى الهاوية ..
كنت اطوف في البيت ابحث فيه عن بعض الاشياء الوهمية التي لم
يكن لها وجود فيه ، ثم حين لا اجدها اسأل عمتي نجيبة عنها ، ويطول
تساؤلي ، ثم يصل الى حد العراك معها ، فتتركني المسكينة اصرخ والعن
واحطم كل شيء تقع يدي عليه وتذهب عني حتى اهدأ ..
وحين كنت اهدأ ، اكون قد نسيت كل شيء كنت قد فعلته في

لحظات الجنون التي كنت اعيش فيها ..

كنت اريد ان انسى كل شيء يشدني الى هذه الدنيا ..

واول تلك الاشياء كان سلاح ..

وبذلت المستحيل لأنساه ..

ولم استطع ..

كانت صورته دائماً امامي .. صورته وهو يبكي في مركز الشرطة

تقف منتصبه امامي تتوسل بي ان انقذه من المأزق الذي اوقع

نفسه فيه ..

وكنت احاول ان ابعده صورته عن خيالي ..

كنت اخفي وجهي بيدي ، وكنت اخفيه في الوسادة .. كنت اريد

ان اهرب منه .. لكني ، في كل مرة كنت اهرب فيها منه كنت اجد

نفسي في آخر المطاف قد هربت اليه ..

واتعذب ..

ويطول عذابي ..

.. و

الى متى سأبقى هكذا .. اتعذب ، وتفترق الأوجاع هذا الجسد

الممزق .. الى متى ابقى عائشة في نار محرقة لا ترحم ..

* * *

كانت قد مضت بضعة اشهر على حادث المركز ..

.. و

وصلتني رسالة في صباح ذلك اليوم ..

فتحتها ، وقرأت :

عزيزتي ميادة ..

تحية طيبة ، و أتمنى ان لا يريك الله مكروها ..

عزيزتي ، واسمحي لي ان اردد اسمك مرة اخرى بعد ان خسرتك
كلك مرة واحدة .. اسمحي لي ان اكتب لك هذه الاسطر القليلة لعلني
اجد في كتابتها بعض السلوى والراحة لنفسي المعذبة ، ولعلني قد استطيع
فيها ان اكفر عن ذنوبي الكثيرة نحوك ..

افكر دائماً فيك .. واسأل نفسي دائماً ، لماذا .. لماذا جعلتك
تتحملين كل ذلك العذاب وانت كنت لاتتمنين لي الا السعادة .. لماذا
اذقتك كل ذلك الشقاء وانت لم يكن ليفرحك في الدنيا الا ان تجديني
سعيدا ..

اني الوم نفسي .. ودأماً كنت انا السبب .. تصرفاتي الشاذة هي التي
دفعت بي الى هذه الهاوية .. هل كنت سافلا .. هل كنت
مجرماً ! ..

لا ادري .. لا ادري ، كل الذي ادريه هو ان قلبي لا يزال ينبض
بالحب اليك ، فبالرغم من كل تلك الاشياء التي حدثت بيننا ، وبالرغم من
اننا قد ابتعدنا كل هذا البعد عن بعض الا اني احس دائماً بانك تقفين معي
في كل مكان اقف فيه وتبذلين المحاولة تلو المحاولة من اجل حملي على التراجع
عن منطقة الخطر التي القيت نفسي فيها ..

اجل ، ياميادة ، لعلنا نحن نختلف في شيء .. ربما في اشياء كثيرة ،
لكننا لازلنا غير مختلفين في حبنا الكبير الذي قيد قلب كل منا بالآخر
مدى الحياة ..

عزيزتي ..

صدقيني ، اني قد تغيرت الآن تماماً عما كنت عليه .. لعل السجن

الذي انا فيه هو الذي غير كل شيء في ، وجعلني اعود الى نفسي بعد عمر
طويل من الضياع . . او لعل الله كان يريد لي ان اكون شريفا فوقعني
تلك الوقعة ليحكموا علي من بعدها بالسجن سنة كاملة . .

اني اعيش هنا في السجن حياة هائلة ، وكل شيء من حولي يجعلني
انسى دنيا الناس التي لم يعد لي فيها اي مكان . . الكل هنا يحبوني ،
وبالمناسبة . . عندنا في السجن مكتبة فيها من الكتب ما اتمنى لو اقضي كل
الوقت فيها لأقرأ كل ما محتويه من الكتب . .
ميادة . .

ماذا اقول لك ايضا . .

اني اريد ان اتكلم . . وان اكتب . . اريد ان اكتب لك اكثر . .
واكتب . . واكتب . . ولقد سألت نفسي اكثر من مرة من قبل ان
اكتب لك هذه الكلمات . . سألتها بخوف ، وبتردد : كيف اجسر بعد
كل الذي احدثته فيك ان اتجرأ واخاطبك . .

هل تدرين بماذا اجابتي نفسي . . هل تدرين بماذا . .

اجابتي من الأعماق آلاف الاصوات لتقول : اكتب يا صلاح . .
اكتب لها لأن ليس لك في الدنيا من يستمع اليك غيرها . . اكتب ،
ودائما ستجد منها ، كما كنت دائما تجد ، الانسانة الكبيرة صاحبة القلب
الكبير الذي لم يعرف يوما ان يكرهك . .

وكتبت . . كتبت لك وقلبي يخفق في صدري من الخوف . . وكل
شيء في خائف ، مترزع وخائف الا الأمل . . املي وحده يتضخم في كل
لحظة ، ويكبر . . املي فيك ، وفي قلبك الكبير الذي اعتاد دائما وابدا ان
يعفر لي . .

وكلمة اخيرة اود ان اكتبها . . كلمة اخيرة ، هي اني لا اريد منك بعد

اليوم اي شيء الا ان تغفري لي ما سببته لك في الفترة التي عشتها معي
وانت تتعذبين لعذابي ..

واتمنى لك السعادة من كل قلبي .

صلاح

* * *

ما لقلبي اخذ يخفق في جوارحي ويرتعش كأنه عصفور صغير يبكي
امه وهي بعيدة عنه بعد السماء عن الارض ! .. ما هذه الأحاسيس تتدفق من
كياي كانه كأنها ينبوع قد مضى على اختناقه الف سنة وتسلل الى قلبي
الدائم لتضمم الجراح العميقة التي احدثتها يد القدر فيه ! .. ما لعيني تدرف
الدموع بحرارة فتغرقني في بحر من الراحة بعد ان كنت اعيش وسط
عذاب لا يرحم ! .. ما الدنيا تتبدل بهذه السرعة الغريبة من حولي فيزول
الظلام في لحظة من امام عيني ليفتح لي النور الطريق الى الحياة ! ..
اهكذا ، في لحظة انسى كل شيء ..

اهكذا ، انسى كل الجراح العميقة التي خلفها لي صلاح في قلبي ، وانسى
العذاب الذي اذاقني اياه ، وانسى ايام البؤس والشقاء الطويلة التي كنت
احياها معه ، وانسى ايام عربدته ومجونه .. وانسى .. وانسى ..
اني احبه ..

احبه ، وهذه هي الحقيقة التي لا اقدر ان اكندها ابدا .. احبه بالرغم
من كل شيء ..

والذي يحب يغفر دائماً كل الأخطاء ..

وانا احب ..

احب صلاح ، لذلك .. فاني دائماً ، في اية لحظة من اللحظات اجسد

نفسي مستعدة لتغفر له كل ذنوبه ..

وعدت الى الرسالة ، وقرأتها مرة اخرى ..
وقرأتها للمرة الثالثة ، والرابعة .. ثم ضاع العدد .. قرأتها حتى
حفظت كلماتها ، كلمة كلمة ..

ودموعي تفرق الدنيا من حولي ..
هل اصدقه ! . هل اصدق مايقوله ! . لقد كنت اصدقته دائما ،
وكننت اصدق توبته في كل مرة يعود فيها الي ، فاذا كانت النتيجة ..
كانت النتيجة ان قادي هذا القلب الي ما انا فيه الآن ..
لكني احبه .. اعود واقولها ايضا ، فاذا يادنيا استطيع ان افعل ! ..
وماذا ستكون النتيجة لو اردت ان لا اصدقه ..

هل سأستطيع ان اتجاهله ، وانساه .. هل استطيع ان انسى عمري ،
وانسى الدنيا الرائعة التي كنا نحلم انا وهو فيها يوم ان كان يأخذنا الخيال
بعيدا .. هل سأستطيع ..

كلا يا الهي .. كلا .. لا استطيع ..

لكني قد استطيع ان اضحي اكثر من اجله .. قد استطيع ان اضحي
بكل شيء من اجل ان اعيدده الي بعد ان قتلته الاقدار ولم ترجمه . قد
استطيع ..

اني واثقة .. واثقة من نفسي اني استطيع ان اعيدده الي بعد كل
الذي كان ..

واثقة ، فاذا انتظر ! ..

في الأيام الاخرى التي كانت تجر نفسها بثقل شديد لتمر من صمري ،
كنت احس بقلق كبير يسيطر على كل جارحة في ..

كنت اتعذب ..

واعيش في النار التي لا ترحم ..

واحترق في اليوم الف مرة .. كانت تحرقني خيالاتي الرهيبة التي

اخذت تغزو كياني كله ..

هل اكتب له ..

وماذا اكتب ..

تناولت القلم اكثر من مرة لأكتب له .. حاولت ، وبذلت طاقة

كبيرة من اعصابي وعواطفي لأضع له بضع كلمات على الورقة .. وكتبت ..

كتبت كلمة .. ثم تلتها كلمة اخرى .. وانتهت الرسالة ..

ثم ..

مزقتها ..

كان فيها اشياء كثيرة لم اكن اريد ان اكتبها له ثم كتبتها من غير ان

اعي لها .. كتبتها بقلبي ..

وكتبت غيرها ..

ثم ، مزقتها ايضا ..

اني لا استطيع ان اكتب له .. لا اقدر ..

ثم ..

ذات يوم ..

قررت ان اذهب اليه ..

لم اعد استطيع ان احتمل كل هذه النيران التي تلسع في كيانني حتى

تذيبه في العذاب ..

وذهبت ..

بأية حالة كنت وانا ذاهبة اليه لأراه في السجن ..

لا ادري ..

كنت قلقة .. حائرة .. شاردة .. مضطربة .. مترددة .. خائفة ..

حزينة .. سعيدة .. كان كل شيء في يعيش في دوامة من القلق

والاضطراب .. كل شيء ، واكثرها كانت اعصابي ، وقلبي الذي كان

يرتعد مع كل خطوة تلقيها قدمي وانا في طريقي الى السجن ..

ووقفت امام باب السجن الكبير ..

واكثر من قوة كانت تسحبني بعنف لتمنعي من الدخول .. وكان

عقلي يعمل بسرعة ، وبذكاء خارق .. لكنه كان اضعف من ان يقدر على

التغلب على قلبي الذي كان يسيطر على كل شيء في ..

وطالت وقتي امام شباك الاستعلامات ..

ثم تجرأت قليلا ، وسألت الموظف المسؤول وانا اغرق في الحياء من

المكان الذي اقف فيه :

- من فضلك يا استاذ ..

رشقني الموظف بنظرة سريعة حادة ، وتمتم :

- افندم ! ..

- اريد ان ازور السجين صلاح ثابت . .

تأملني بعمق ويده تعبت بحافة الملف الذي امامه ، ثم راح يقلب في الأوراق ، وتركني اتخبط في حيرتي ، والعرق يتفصد من جبيني ، ومن اطرافي . .

ورفع موظف الاستعلامات رأسه قليلا الي ، رشقني بنظرة اخرى دافئة جعلتني ارتبك قليلا . . هل يعرف هذا الرجل ماهي الجريمة التي ادانت صلاح وحكمته بالسجن ! . . هل يعرف هذا . . وانا . . هل يعرف من اكون انا بالنسبة لصلاح ! . .

- ليس عندنا هذا الاسم . .

قلت في شبه توسل وانا اتعذب لجوابه :

- لكنه هنا ! . .

- هل انت متأكدة ! . .

- جدا ، وقبل ايام قليلة وصلتني رسالة منه . .

عاد وفتح الملف ، وراح يقلب في اوراقه بضع لحظات . . ثم رفع رأسه الي . . كانت نظراته قد لانت قليلا في عينيه . . اصبح ينظر الي برثاء وعطف بعد ان كان ينظر الي بريبة واشتهاء . .

وعاجلته وانا انتظر منه ان يقول شيئا فيريحني :

- هل وجدته ! . .

قال بحزن خفيف :

- اجل . .

- اين تستطيع ان اراه . .

- البقية في حياتك . .

انتفض كل شيء في مرة واحدة . . وخارت كل قواي وانا اتلقى منه

تلك الكلمات الباهتة ، واحسست بروحي تنقبض في داخل جسدي ،
وبرأسي يدور . . واني افقد في لحظة كل ما عندي من المقاومة على اسناد
جسدي المتخاذل . .

وامسكت راسي بيدي ، ورحت اهصر جبيني بشدة كأني اريد ان
استفيق من حلم ثقيل انا واقعة فيه . .
لكنها كانت الحقيقة . .
ولم استفق من الحلم ابدا . .
وعادت الى موظف الاستعلامات بعد لحظات من التذمر ،
وسألته :

- هل انت متأكد! . .

- بالطبع . . صلاح ثابت . . مات بالذبحة الصدرية . . تفضلي الى
الداخل وتأكدني بنفسك من طبيب السجن . .
تركته ، وهرعت الى غرفة الطبيب . .
وتأكدت . .
مات صلاح . .

وترك لي رسالة قبل ان يموت . . تركها غير كامله ، لعله كان يكتبها
لي وهو على فراش الموت . . واستلمتها من الطبيب ، ثم خرجت من
السجن الى الشارع . .
وفتحت الرسالة في الشارع ، وقرأت والدموع الحارة تنزف من
عيني :

« عزيزتي . .

اغفري لي . . مرة اخرى اطلب فيها منك الغفران . . اني اتعذب . .
اتعذب لأنني قد سببت لك كل هذا العذاب الذي انت فيه . .

ميادة ، آه لو تدرين كم اتألم كلما تذكرتك .. واتعذب .. ويذبجني
الحزن حين اتأمل الحياة الرائعة التي كنا نحلم بها انا وانت في اول عهدنا
بالحب ، ثم هذا الجنون الذي لعب بعقلي في تلك الايام العمياء التي عذبتك
فيها حتى اضعتك ..

اني اكتب لك هذه الأسطر ولا ادري ماذا سيكون نصيبي من الدنيا
بعد ان اترك هذا المكان .. لكن الذي ادريه هو اني قد تغيرت تماما عن
ذلك الرجل الذي كنت تعرفيه ، واصبحت احس بأني انسان ، ويجب ان
اعود الى الحياة لأعيش عيشة الرجل الذي يحترم قبل اي شيء نفسه
ورجولته ..

وسأعود الى كليتي لأواصل الدراسة فيها ..

وسأخرج منها ..

وصدقيني يا ميادة

* * *

انتهت الرسالة ..

وعدت لأقرأها مرة اخرى ..

ومرة ثالثة ..

وبكيت ..

هل حقا قد انتهى كل شيء عند هذا المكان الذي

انا فيه ! ..

وسرت في الدرب الطويل وكل شيء في يدوب من الحزن ..

ومن العذاب .. واحس كأني اتقدم مع كل خطوة من الخطوات التي

تخطاها قلمي الى ساحة الموت . : وانفاسي تتلاحق في صدري ، ورأسي
يكاد يطق من شدة ما تضطرب فيه من الافكار ، واعصابي المنهارة
احملها معي الى ساحة الموت وكأني اريد ان اذبحها امامي قبل ان اموت . .
وقلبي تمزقه ذكرى حب عاش فيه بعض العمر ثم خنقته يد القدر
في يوم رهيب . .

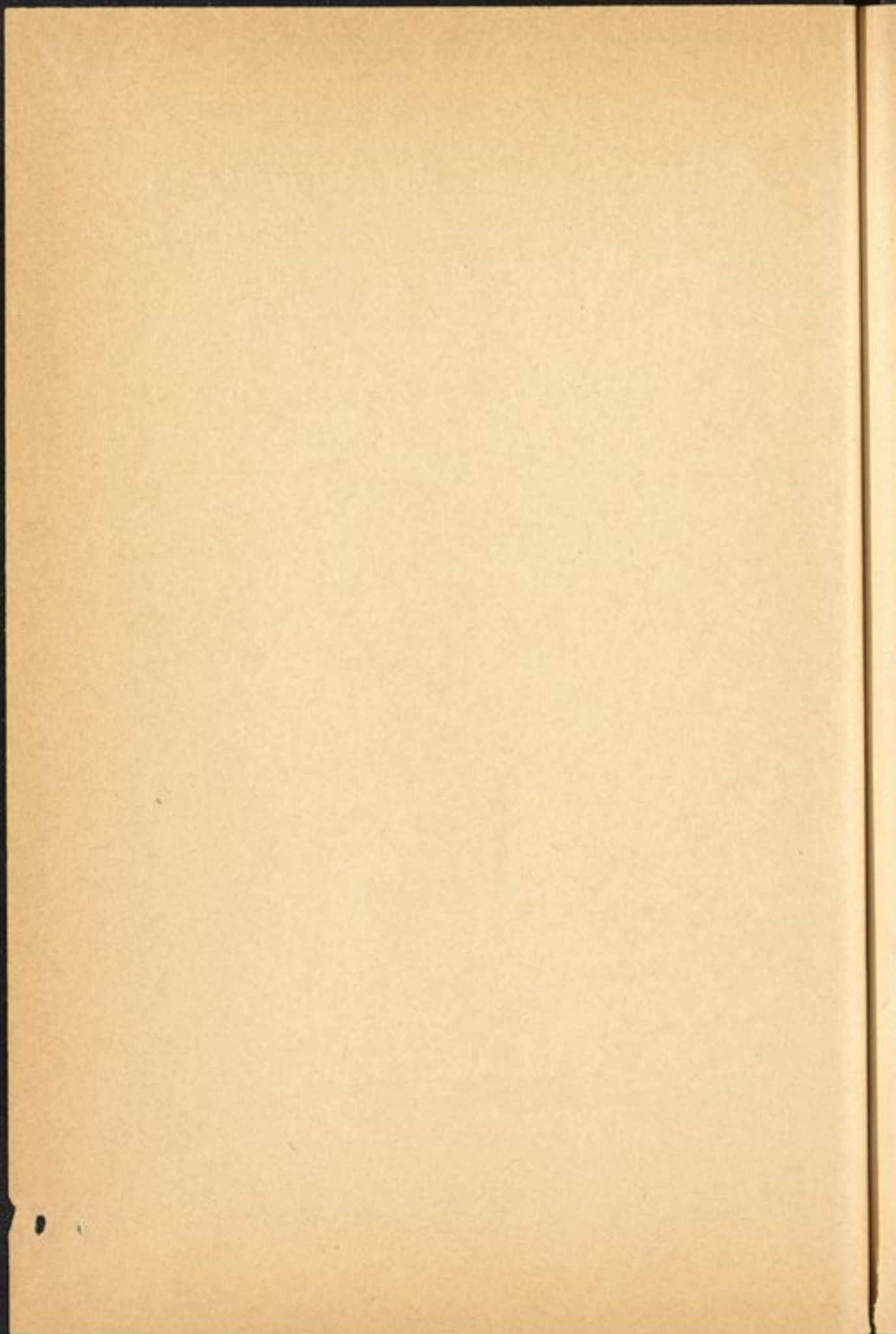
.. و

ماذا بقي لي من الدنيا! ..

« تمت »

تم طبع الكتاب على
مطابع دار البصري
بفداد

١٩٦٨/٥/١ - ٢٠٠٠ - ٩



المؤلف :

رواية	(١٩٥٨) نعدت	* التائهة التافهة
«	(١٩٦١) نعدت	* ابن تذهبن
مجموعة قصص	(١٩٦٦)	* كانت لنا ايام
رواية	(١٩٦٧)	* الحب اقوى
«	(١٩٦٨)	* بيت الذكريات

تحت الطبع :

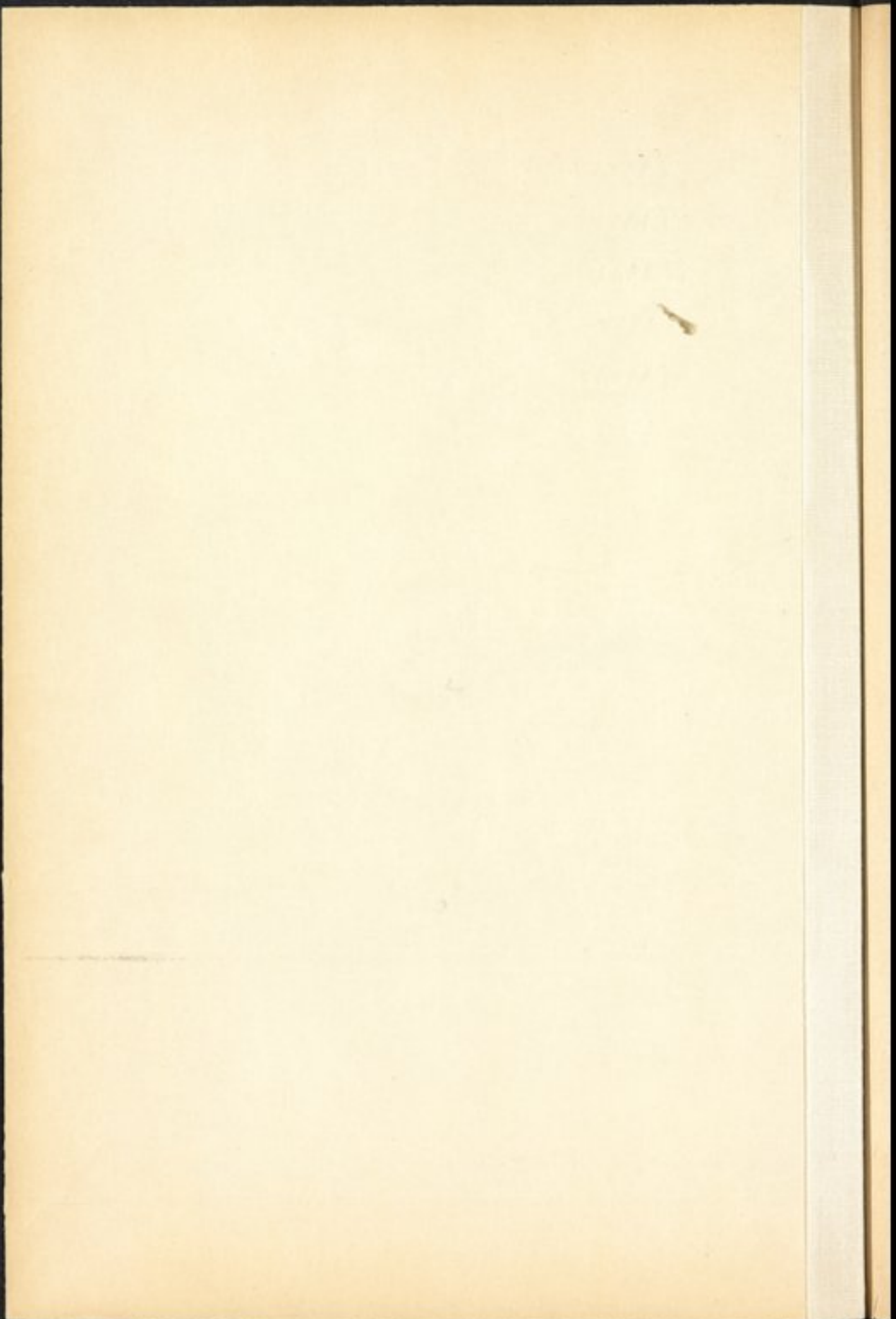
رواية	* العيون الجائعة
«	* طريق البنات
مجموعة قصص	* رحلت عني
مسرحية	* خطبها مدير شركة

المكاتب

حازم مراد

مكتب المثني لتوزيع المطبوعات - شارع الوثبة

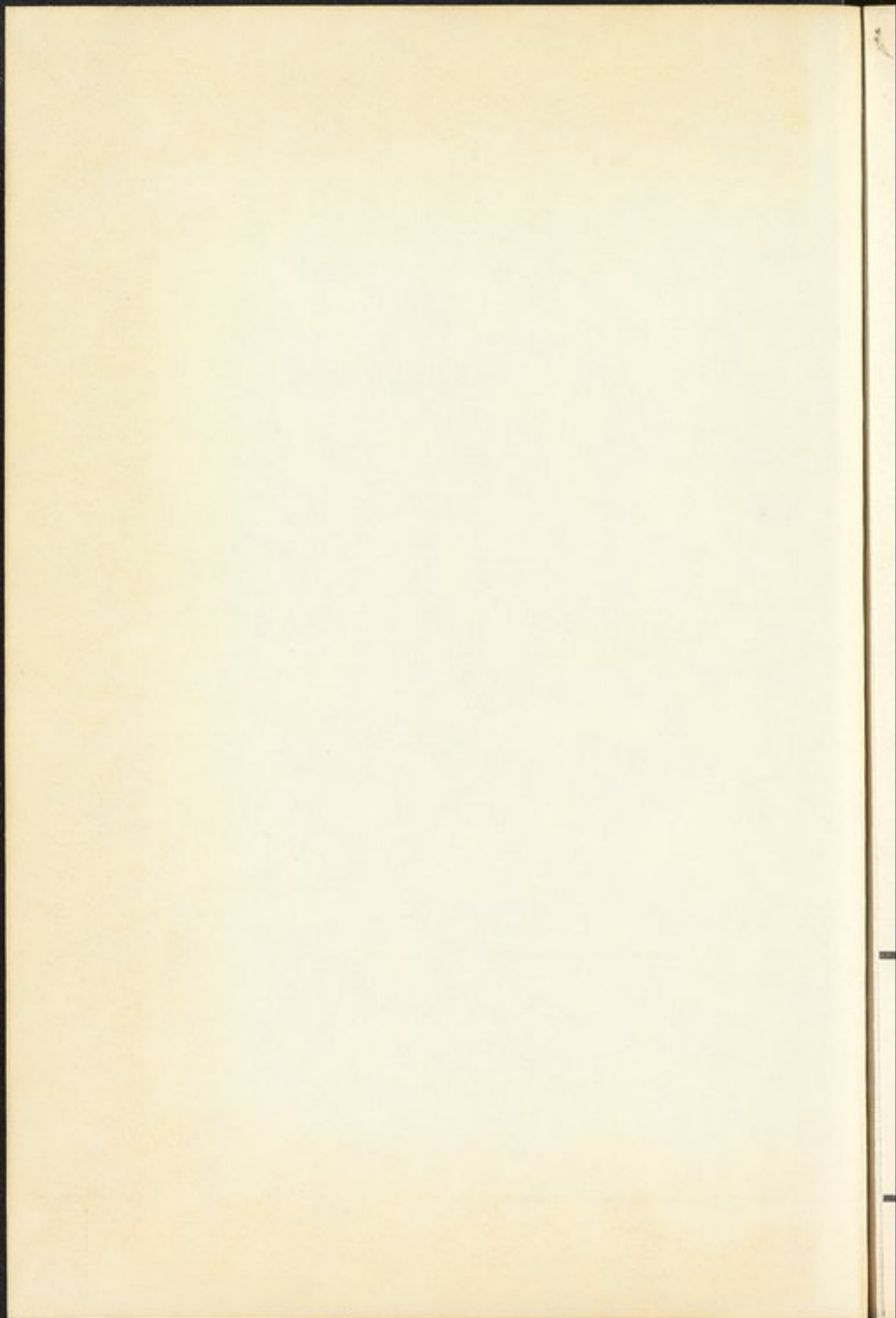
بغداد - الجمهورية العراقية

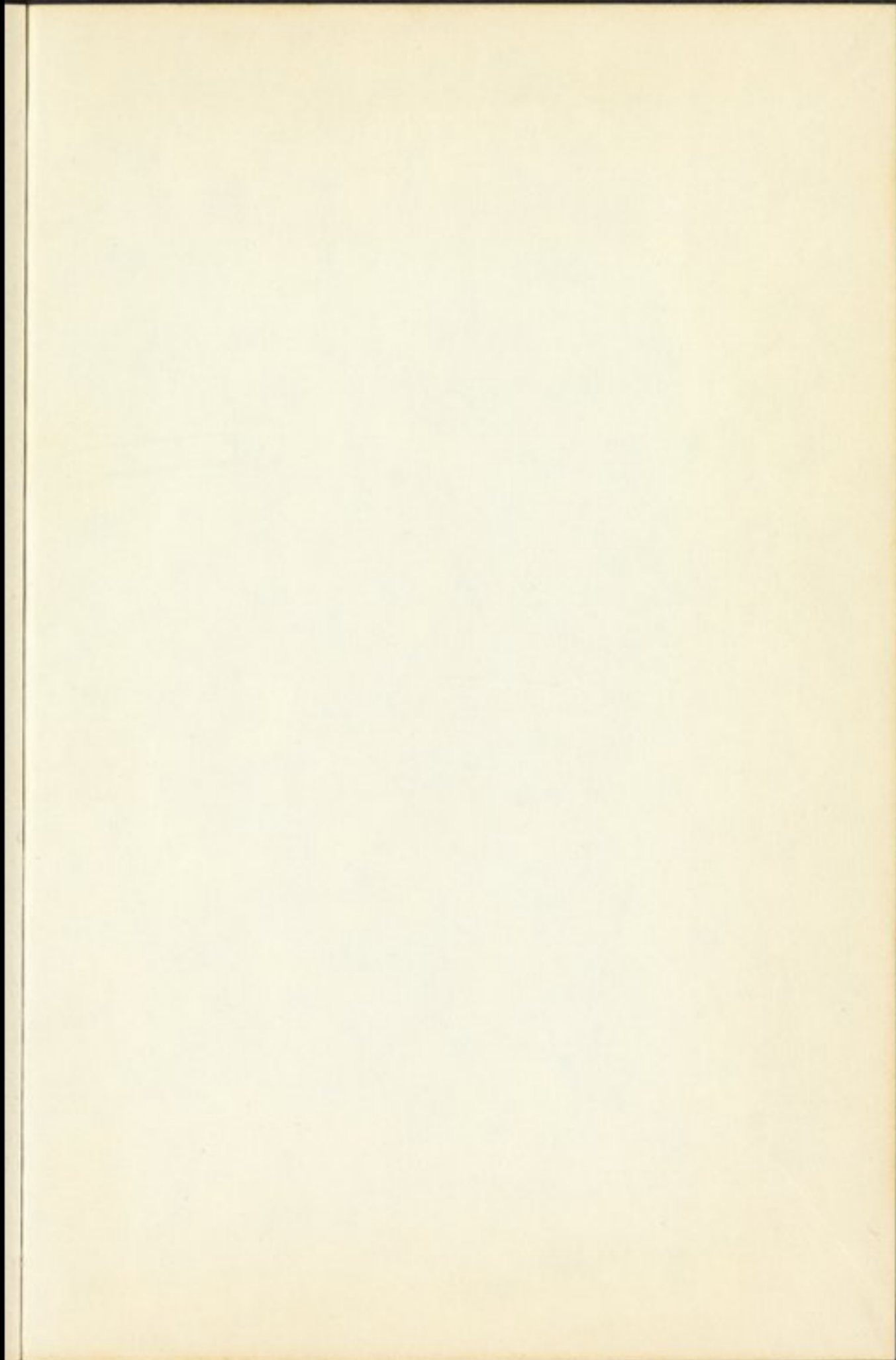


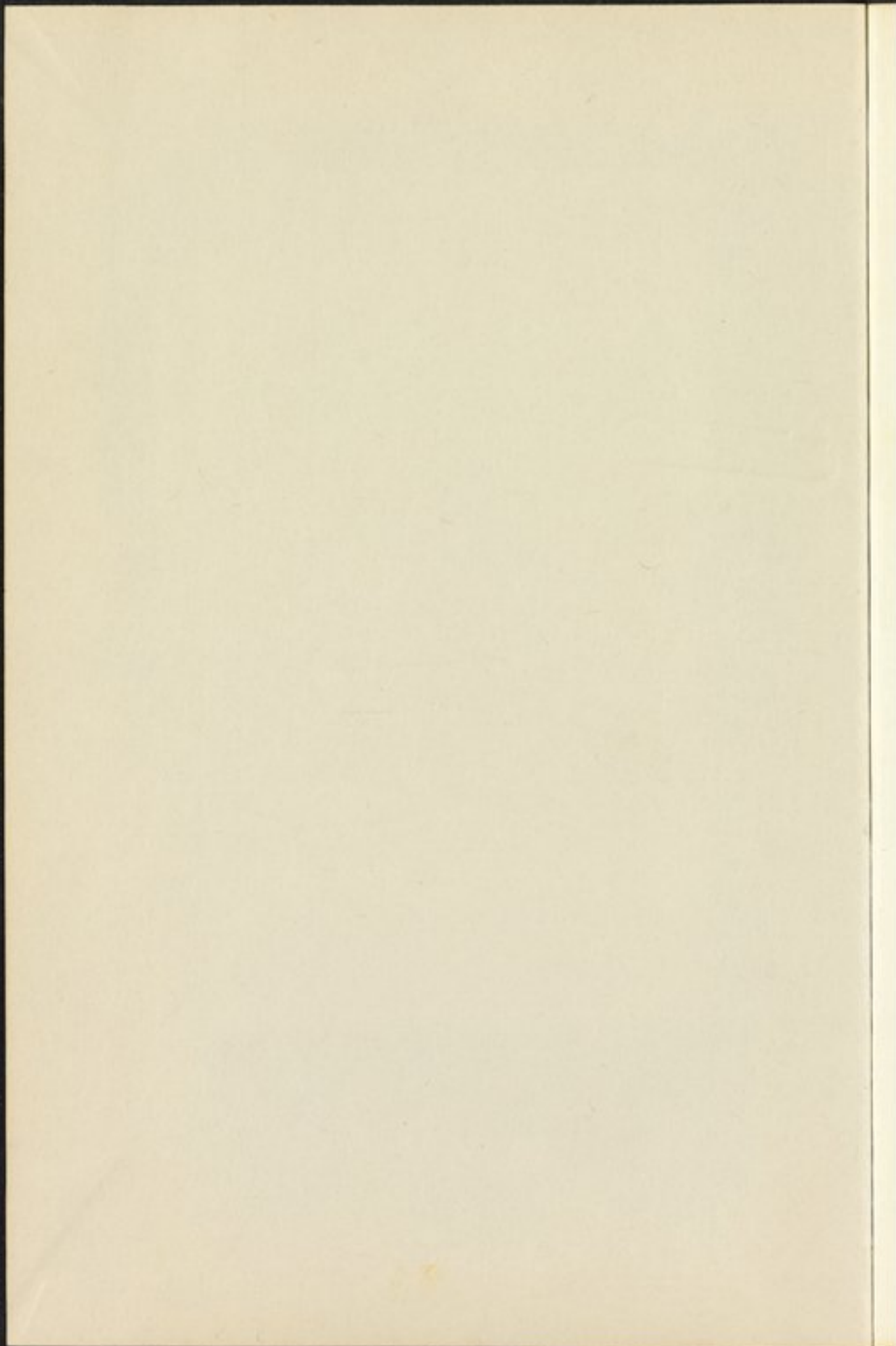
١٥٠ فلس عراقي

التمن : ٢٠٠ فلس كويتي - اردني

٢٠٠ ق.ل.س







COLUMBIA UNIVERSITY



0031256236

PJ
7850
.U63
B3

02194759

ENTRY

INSERT

BOOK CARD

PLEASE DO NOT REMOVE.
A TWO DOLLAR FINE WILL
BE CHARGED FOR THE LOSS
OR MUTILATION OF THIS CARD.

01 02 03 04 05 06 07 08 09 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32

02194759

PJ 7850
.U63 B3

1971

